الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في علم الدلالة

لطلبة السنة ثانية ماستر تخصص اللسانيات العامة

إعداد الدكتورة: دلال وشّن

السنة الجامعية: 2022/2021 .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

محاضرات في علم الدلالة

لطلبة السنة ثانية ماستر تخصص اللسانيات العامة

إعداد الدكتورة: دلال وشّن

السنة الجامعية: 2022/2021 .

بسم الله الرحمن الرحيم

الأهداف العامة:

- تكوين الناشئة من الطلبة المتخصصين في شعبة اللسانيات العامة بعرض جملة من القضايا الدلالية لسبر أغوار المعنى الموجّهة لطلبة الماستر السنة الثانية.
- علاقة علم الدلالة بغيره من العلوم اللسانية وغير اللسانية.
- الوقوف عند أنواع المعنى، وأنواع الدّلالات ولاتجاهات الحديثة في دراسة المعنى.
- ربط أفكار اللسانيين الغربيين بما تقدّمت به أفكار جهابذة علماء العربية الذين سبقوهم بقرون.
- ربط الطلبة بتراثهم ودفعهم إلى فهمه والاطلاع على مكنوناته المعرفية خصوصا في مجالات الصوت والدلالة والمعجم.
- تعميق الفهم لدى طلبة هذا التخصّص، ومساعدتهم على طرح أسئلة تيسر لهم شقّ أبحاث علمية رصينة في مذكرات الماستر ثم في مرحلة الدكتوراه.

أهم مصادر المقياس:

1- إبراهيم أنيس،

- دلالة الألفاظ
- اللهجات
- الأصوات اللغوية

2- إبراهيم بن مراد: دراسات في المعجم العربي

3- ابن سيدة: المخصص

4- ابن جني: الخصائص

5- أبوهلال العسكري: الفروق في اللغة

6- ابن قتيبة: تأويل مشكل القران

7- أمين فاخر: دراسات في المعجم العربي

8- أحمد مختار عمر: علم الدلالة

9- توفيق شاهين: علم اللغة العام

10- تمام حسن: اللغة العربية معناها ومبناها

11- حسين نصار: المعجم العربي نشأته وتطوره

12- حلمي خليل: دراسات لغوية معجمية

13- الرازي أحمد بن حمدان: كتاب الزينة في الكلمات الإسلامية

14- ستيفان أولمان: دور الكلمة في اللغة

15- شاكر سالم: مدخل إلى علم الدلالة

16- صلاح رواي: المدارس المعجمية العربية

17- عبد الله درويش: المعاجم العربية

18- فايز الداية،

- علم الدلالة العربي

- الجوانب الدلالية في نقد الشعر

19- محمد حسن عبد العزيز: مدخل إلى علم اللغة

20- محمود فهمي حجازي: علم المصطلح

21- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية

22- حافظ إسماعيلي العلوي: اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة.

23- فرديناند دو سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ترجمة: عبد القادر قنيني.

24- ابن جني: الخصائص.

25- ترنس هوكز: البنيوية وعلم الإشارة، ترجمة مجيد الماشطة.

26- ترنس هوكس: مدخل إلى السيمياء.

27- حميل حمداوي: السيميوطيقا والعنونة.

28- عبد الله الغذامي: النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية.

29- عبد الله محمد الغذامي ودعبد النبي اصطيف: نقد ثقافي أم نقد أدبي.

مقدّمة:

إن الإنسان كائن لغوي دلالي يبني عالمه بما ينتجه من خطابات، الاتصال اللغوي هو تبادل الكلام بما فيه من رسائل ومعلومات بين المتكلّمين باللغة الواحدة، ورغم أن النظام اللغوي ليس وحده وسيلة للاتصال في المجتمع، فإنه أكثر دلالة وتعقيدا، وهذا لما تحققّه من إبلاغ وفائدة تبليغية خاصة بها، إذ يتميّز التعبير اللغوي عن غيره بطاقات تعبيرية متعددة ومختلفة تنأى به عن مجرّد النقل الآلي للمعلومات.

ومن المعلوم أن اللغة قوامها الكلمات فما من لغة من اللغات إلاّ وتشتمل على رصيد منها، متفاوت من حيث القلّة والكثرة، والعلم الذي يهتمّ بالكلمة ومعانيها والصلة بين اللّفظ وبين صورته في الذّهن، ووظائف هذه الدّلالات هو " علم الدّلالة".

اختلفت المشارب الفكرية لدراسة الدلالة، فقد درست من منظور فلسفي منطقي، كما فسرت تفسيرا نفسيا سلوكيا، وقرئت من زاوية أخرى قراءة اجتماعية، كما نوقشت لسانيا، مما أنتج نظريات دلالية مختلفة تنوعت مقارباتها بين النظري والتطبيقي.

لقد حظيت الدراسات الدلالية باهتمام العلماء والدارسين منذ القديم، وكان موضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله من القضايا التي أولاها الفلاسفة اليونان اهتمامهم ومناقشاتهم وتأثرت تلك الدراسات بالأفكار الفلسفية والمنطقية. كما أولى العلماء العرب القدامى اهتماما كبيرا بالدراسات الدلالية أيضا وذلك لتأثرهم الشديد بهذه الدراسات عند اليونان، حيث نجد أن جلّ دراساتهم وبحوثهم تركزت على العلاقة الطبيعية بين اللّفظ والمعنى ونلتمس ذلك في جهود العلماء العرب وأعلامهم من أمثال العلاّمة " ابن جنّي" الذّي خصّص لهذه العلاقة أبوابا في كتابه " الخصائص"، وكذلك " ابن فارس" في معجمه" المقاييس"، حيث اعتمد على فكرة الأصول ومعرفة الصلة بين الألفاظ ومعانيها، وكذلك نجد ابن دريد في مؤلفه" الاشتقاق"، ولقد حظي الدرس الدلالي بخطوات عملية منهجية

واسعة، حيث أصبح علم الدلالة واحدا من العلوم اللغوية الهامّة، وأصبح له وجود مستقلّ شأنه في ذلك شأن بقية العلوم اللغوية.

ولقد صار من المؤكد علميا أن المعنى ودراسته أضحى في العصر الحديث ملتقى لكلّ العلوم، بل إن له مباحث في شتّى الحقول المعرفية قديما وحديثا لا تقوم الدراسة فيها دون أن يكون لقضية المعنى ومتعلقاته حضورا بارزا في كلّ مراحل تلك المباحث، ويعتبر علم الدلالة من أهمّ العلوم التي عرفت تطورا ملحوظا. كما أغرى هذا العلم العديد من الباحثين لما له من أثر كبير في الكشف عن أسرار النصّ اللّغوي باعتبار هذا العلم أحد مستويات علم اللّغة، ويعنى هذا المستوى بدراسة معنى الجمل والعبارات في النصّ وهو معنى يتجاوز معنى الجمل والعبارات والمفردات في النصّ.

المحاضرة الأولى: مدخل لعلم الدلالة

1/ مدخل لعلم الدلالة(اصطلاحا وتاريخا)

* المسار التاريخي لنشأة علم الدلالة:

لما كانت اللغة وسيلة التواصل الإنساني كان سعيه حثيثا نحو فهمها وفهم آليات تشكيلها والعلاقات القائمة فيها، كما كان دافعه في ذلك حاجته إلى فهم الكتب المقدسة، وبدأ الأمر مع الهنود في محاولة فهمهم لكتابهم الديني (الفيدا)، والذي يعتبر منبع الدراسات اللغوية والألسنية التي قامت حوله .فقد درس الهنود مختلف الأصناف التي تشكل عالم الموجودات، وقسموا دلالات الكلمة إلى أربعة أقسام:

1- قسم يدل على مدلول عام أو شامل (مثل لفظ: رجل)

2- قسم يدل على كيفية (مثل كلمة: طويل)

3- قسم يدل على حدث (مثل الفعل: جاء)

4- قسم يدل على ذات (مثل الاسم: محمد).

وفي سياق فلسفي كانت محاولة اليونانيين البحث في مسائل شديدة الصلة بعلم الدلالة، من ذلك علاقة اللفظ بالمعنى، فلقد حاور أفلاطون أستاذه سقراط حول موضوع العلاقة بين اللفظ ومعناه، وكان أفلاطون يميل إلى القول بالعلاقة الطبيعية بين الدال ومدلوله، أما أرسطو فكان يقول باصطلاحية العلاقة، وذهب إلى أن قسّم الكلام إلى كلام خارجي وكلام داخلي في النفس، فضلاً على تمييزه بين الصوت والمعنى معتبراً المعنى متطابقاً مع التصور الذي يحمله العقل عنه. وقد تبلورت هذه المباحث اللغوية عند اليونان حتى غدا

لكل رأي أنصاره من المفكرين فتأسست بناء على ذلك مدارس أرست قواعد هامة في مجال دراسة اللغة كمدرسة الرواقيين . ومدرسة الإسكندرية[1] .

كما كان للرومان جهود معتبرة في الدراسات اللغوية، خاصة النحو، فقد وضعوا كتبا في النحو اللاتيني بقيت صالحة إلى حدود القرن السابع عشر. وبلغت العلوم اللغوية نضجها في العصر الوسيط مع المدرسة السكولائية، وكان الصراع فيها قويا حول العلاقة بين الكلمات ومدلولاتها. فريقا من المفكرين كان يقول بعرفية العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها، والآخر يقول بذاتيتها[2].

إنّ الحديث عن التطور التاريخي لنشأة مصطلح علم الدلالة لا يدعنا نتجاهل جهود العرب من مفكرين ولغوين، لقد ارتبط ذلك عندهم بالدرس الفقهي، وساهم علماؤنا القدامى في تأسيس الفكر الدلالي، وهذا بما تحتويه مصنفاتهم من مسائل دلالية تجاوزت الفكر اللساني والدلالي الحديث. فالبحوث الدلالية العربية تمتد من القرون)الثالث والرابع والخامس الهجرية) إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التأريخ المبكر إنّما يعني نضجاً أحرزته العربية وأصّله الدارسون في جوانبها.

لقد بقي الاهتمام بالبحث اللغوي والدلالي مستمرا عبر التاريخ حتى عصر النهضة الذي عُرف بالمنحى الكلاسيكي، الأمر الذي انعكس على الدراسات اللغوية وقد مثلت ذلك الاتجاه مدرسة (بور رويال) التي رفع روادها مقولة: أن اللغة ما هي إلا صورة للعقل، وأن النظام الذي يسود لغات البشر جميعاً قوامه العقل والمنطق.

---

[1]/ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص20.

[2]/ عادل فاخوري، علم الدلالة عند العرب دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، ص52.

وفي القرن التاسع عشر ظهرت النظريات اللسانية الحديثة وتعددت مناهجها وفروعها (الفونتيك، الفونولوجيا، الأتيمولوجيا، المورفولوجيا(، وعلم التراكيب. وإلى جانب هذه النظريات التي تهتم بالدراسة الوصفية للغة، سعى بعض اللغويين إلى دراسة المعنى، يقول ميشال بريال: "إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم، لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أن هذه الدراسة تستحق اسماً خاصاً بها، فإننا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني.

يعتبر بريال واضع مصطلح علم الدلالة وقد كان ذلك في الربع الأخير من القرن العشرين يقول محمد بشر: "إن دراسة المعنى بوصفه فرعاً مستقلاً عن علم اللغة قد ظهرت أول ما ظهرت سنة 1839، لكن هذه الدراسة لم تعرف بهذا الاسم (السيمانتيك) إلا بعد فترة طويلة أي سنة 1883 عندما ابتكر العالم الفرنسي (م.بريال) المصطلح الحديث[1].

2/ تعريف علم الدلالة:

هو العلم الذي يهتم بدراسة المعنى، فإذا كان علم اللغة يدرس الصورة الصوتية أو الصورة الأكوستيكية للرمز اللغوي، فإنّ علم الدلالة يهتم بدراسة المحتوى المفهومي لهذا الرمز، فهو كما عرّفه أحمد مختار عمر: "ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توفرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى[2]. "

---

[1]/ المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، مجموعة مؤلفين، ص 30.

[2]/ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 58.

وقد اختير المصطلح العربي الدلالة مقابلا لهذا العلم السيمانتيك، نظرا لانتشاره في المصنفات العربية القديمة . إلى جانب ما يُعين عليه مصطلح الدلالة من اشتقاقات في المادة (دل، الدال، المدلول، المدلولات...) ومثل هذه الاشتقاقات لا يتيحها مصطلح المعنى لأنّ فيه عموما، كما أنه ألصق بعلم البلاغة. ولعلّ تتبع ماهية الدلالة بين القديم والحديث يؤكد ذلك.

3/ ماهية الدلالة بين القديم والحديث:

إنّ التأسيس المرجعي لمثل هذه المصطلحات يقودنا أولا إلى البحث عن استخدامها ومدلولها في القرآن الكريم، وقد ذكر لفظ دلّ في القرآن الكريم سبع مرات بصيغ مختلفة، وفي سياقات متنوعة، وبمعان متقاربة في دلالتها عل اللفظ من حيث الوضع الأصلي، ومن حيث المضمون الذي يشكل مفهوما للفعل الدلالي. ومن المواضع التي ورد فيها هذا اللفظ، قوله تعالى:

- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ...﴾ .
- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ . ويرى منقور عبد الجليل أن تعيين طرفي الفعل الدلالي كما تحدده هذه الآية ضروري لإيضاح المعنى، فالدابة وأكلها العصا دال، وهيئة سليمان وهو ميت مدلول.
- ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ .

وفي تعليقه على هذه الآيات يقول منقور عبد الجليل: «إذا كان معنى اللفظ "دلّ" وما صيغ منه في القرآن الكريم يعني الإعلام والإرشاد والإشارة والرمز، فإنّ المصطلح العلمي

للدلالة الحديثة لا يخرج عن هذه المعاني إلا بقدر ما يضيف من تحليل عميق للفعل الدلالي» . إنّ المعاني التي يحملها هذا اللفظة في القرآن الكريم جاء يختصر كل الأنظمة التواصلية والعلوم اللسانية وغيرها[1].

- **الدلالة لغة:**

الدلالة بكسر الدال أو بفتحها، مصدر دلّ، وقد جاء في مقاييس اللغة: «الدَّالُ وَاللَّامُ أَصْلَانِ: أَحَدُهُمَا إِبَانَةُ الشَّيْءِ بِأَمَارَةٍ تَتَعَلَّمُهَا، وَالْآخَرُ اضْطِرَابٌ فِي الشَّيْءِ. فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: دَلَلْتُ فُلَانًا عَلَى الطَّرِيقِ. وَالدَّلِيلُ: الْأَمَارَةُ فِي الشَّيْءِ. وَهُوَ بَيِّنُ الدَّلَالَةِ وَالدِّلَالَةِ.»،[2] وقال الفيروز آبادي: «ودَلَّهُ عليه دَلالَةً، ويُثَلَّثُ، ودُلولةً فانْدَلَّ: سَدَّدَهُ إليه. والدِّلِّيلى، كخِلِّيفَى: الدَّلالَةُ، أو عِلْمُ الدَّليلِ بها، ورُسوخُهُ.. ». [3]

ويقول الأصفهاني: « الدّلالة: ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء، كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات، والرموز، والكتابة، والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد ممن يجعله دلالة، أو لم يكن بقصد، كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنه حيّ، قال تعالى: ﴿ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ [سبأ/ 14]. أصل الدّلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدّالّ: من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثم يسمّى الدّالّ والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره». [4]

---

[1]/ منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، 85.

[2]/ أبن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص255.

[3]/ الفيروزبادي،

[4]/ الأصفهاني،

من خلال الأقوال السابقة يمكن القول إن المعنى العام لهذا اللفظ هو الإبانة والتسديد، وهو يجمع ما بين الدلالة اللفظية وغير اللفظية كما يوضحه قول الأصفهاني، فالدلالة مصدر يدل بلفظه على كل أطراف الفعل الدلالي.

*** الدلالة اصطلاحا:**

إذا انطلقنا من التراث العربي في تحديد مفهوم هذا المصطلح وجدنا تراثنا غني بالمسائل الدلالية وإن كانت غير محددة المجال، فقد وجدت الدلالة في رحاب الدرس الفقهي والفلسفي واللغوي. والتعريف الذي نراه جامعا هو ما جاء في كتاب التعريفات للجرجاني: « الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول.» [1]، إن هذا التعريف يتجاوز تعريف المحدثين للدلالة، فهو بالإضافة إلى تحديد ركني الفعل الدليل، يشير أيضا إلى علم آخر أشمل من علم الدلالة وهو علم السيمياء . (Semiologie)فتعبير الجرجاني عن الدال والمدلول بلفظ الشيء دون اللفظ، تجعل التعريف جامعا لما هو لغوي وغير لغوي من أصناف العلامة، ومن ثم أصناف الدلالة.

* أمّا مفهوم الدلالة عند المحدثين، فإنّها تعني عند بريال –واضع مصطلح علم الدلالة– تلك القوانين التي تشرف على تغيير المعاني، ويعاين الجانب التطوري للألفاظ اللغوية ودلالتها[2].

لقد أصبح علم الدلالة يهتم بالصورة المفهومية للمدلول خاصة بعد الدراسة التي قدمها الإنجليزيان أوجدن وريتشاردز في كتابهما "معنى المعنى "الذي تمّ إصداره عام

[1]/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص255.

[2]/ بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي،ص65.

1923م، وفيه تساءل العالمان عن ماهية المعنى من حيث هو عمل ناتج عن اتحاد وجهي الدلالة أي الدال والمدلول. يقول مازن الوعر: «إذا كانت الصوتيات واللغويات تدرسان البنى التعبيرية وإمكانية حدوثها في اللغة فإنّ الدلاليات تدرس المعاني التي يمكن أن يعبّر عنها من خلال البنى الصوتية والتركيبية»[1].

من خلال ما سبق يمكن القول: إنّ علم الدلالة فرع من فروع علم اللغة يهتم بدراسة جوهر الكلمة بهدف تحديد مقصدية الخطاب، فهي لا تنظر إلى صفات الوحدات اللغوية من حيث طبيعتها التكوينية والأدائية، وإنما محورها الوظيفة الإبلاغية التي تؤديها هذه الوحدات في تناسبها مع المقام.

[1]/ المرجع نفسه، ص223.

المحاضرة الثانية: الدلالة وأنواعها عند القدامى والمحدثين:

1/ علم الدلالة عند علماء العرب: علماء الأصول والفلاسفة.

لقد ارتبط الدرس الدلالي في التراث العربي بالدراسات القرآنية، فمن خلال محاولة علماء التراث دراسة اللغة خدمة للقرآن الكريم ومحاولة فهم معانيه واستقراء الأحكام الشرعية واستنباطها، تنوعت الدراسات بتعدد مرجعيات علمائنا الفكرية والعلمية، فارتبطت الدلالة بالدرس الفقهي عند علماء الأصول، وبالمنطق عند الفلاسفة، وباللغة عند النحاة. وكان لهذا التنوع أثره في ثراء الموروث العربي بالمسائل الدلالية التي تتقاطع بشكل كبير مع مباحث علم الدلالة الحديث. وحتى نبرز بعض هذا الجهد اخترت النماذج على سبيل المثال لا الحصر:

1- محمد بن إدريس الشافعي: (150هـ-204هـ)

يعتبر الشافعي أول من وضع أبواب أصول الفقه في كتابه "الرسالة" الذي وضع فيه قواعد لفهم النصوص القرآنية وتحديد دلالتها، ولأنّ الغاية كانت المعنى، ارتبطت جهوده بكيفية تحصيل المعنى، ومن المسائل التي أثارها :

- اتفاق العبارات لا يعني اتفاق المدلولات، وقد أثبت ذلك في توضيحه وكشفه لأسرار البلاغة في الحديث الشريف .
- أشار الشافعي إلى ضرورة تسييق اللفظ من أجل تحديد دلالته، وهذا ما نادت به النظرية السياقية. يقول الشافعي: «تبتدئ الشيء يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله» . وتأكيدا لذلك وضع الإمام عنوانا لباب سماه: الصنف الذي يبين سياقه معناه.

– تناول الشافعي مسألة الترادف في اللغة وقد أثبته في معرض بحثه عن دلالة لفظ "شطر" الوارد ذكره في قوله تعالى مخاطباً نبيه –عليه الصلاة والسلام–: "ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام"، لقد أحصى الشافعي ألفاظاً تناظر لفظ "شطر" في الدلالة منها: وجهة . قصد . تلقاء. ثم قال: "وكلها بمعنى واحد وإن كانت بألفاظ مختلفة"، وموضوع الترادف يعد من مباحث الدرس الدلالي الحديث، رغم ما أثاره من خلاف حول وجوده من نسبيته منذ القديم[1].

كما تناول مسألة المشترك اللفظي ففي تفسيره لقوله تعالى في حق نبيه الكريم: "وأزواجه أمهاتهم" . حيث يقول: "مثل ما وصفت: من اتساع لسان العرب وأن الكلمة الواحدة تجمع معان مختلفة. [2]"

لقد اعتمد الشافعي في تأسيسه لقواعد أصول الفقه على طبيعة ما جاء عليه القرآن الكريم–لسان عربي مبين– فكانت كل محاولة لاستنباط حكم يسبقها تحليل لغوي للنص بحثا عن القرائن المرجحة للمعنى، وبذلك كانت مباحث الدلالة تأتي طواعية بين يدي هؤلاء العلماء مصدرها كتاب جمع علوم الدنيا والآخرة بين دفتيه.

2–أبو نصر الفرابي: (339هـ):

أولى الفرابي علوم اللغة أهمية بالغة، حيث يعتبرها من الأدوات الأساسية في البحث المنطقي والفلسفي، من أهم المسائل الدلالية التي بحثها:

[1]/ إدريس بن خويا، البحث الدلالي عند الأصوليين قراءة في مقصدية الخطاب الشرعي عند الشوكاني، ص88.

[2]/ فريد عوض حيدر، الخصائص الدلالية لآيات المعاملات في القرآن الكريم، ص 36.

أ- تقسيم الألفاظ باعتبار دلالتها:

وضع الفرابي اسما خاصا سماه "علم الألفاظ"، الذي عده من فروع علوم اللسان والتي قسمها إلى سبعة أقسام " علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر[1].

يقدم ابن سينا تمثيلاً لذلك بقوله: "اللفظ المفرد: هو الذي لا يراد بالجزء منه دلالة أصلاً حين هو جزؤه مثل تسميتك إنساناً بعبد الله فإنك حين تدل بهذا على ذاته، لا على صفته من كونه "عبد الله" فلست تريد بقولك "عبد" شيئاً أصلاً. فكيف إذا سميته بـ"عيسى"؟ بلى، في موضع آخر تقول "عبد الله" وتعني بـ"عبد" شيئاً، وحينئذ يكون "عبد الله "نعتاً له، لا اسماً وهو مركب لا مفرد" . ولم يخرج تقسيم ابن سينا للألفاظ عما وضعه الفرابي قبله في كتابه "في المنطق. "

فلا وجود لألفاظ فارغة الدلالة عند الفرابي في علمي المنطق والفلسفة. وتتمّ الدراسة على مستوى الصيغة الافرادية للكلمة وهو ما يطلق عليه في الدرس الألسني الحديث الدراسة المعجمية، التي تتناول الألفاظ خارج السياق اللغوي. أمّا الألفاظ الدالة على معان مفردة عنده ثلاثة أجناس: اسم وكلمة(فعل)، وأداة(حرف).

ب- ما يقوم به مقام اللفظ المفرد من الأدوات الدالة:

فالحروف ليست لها دلالة في ذاتها وإنما قيمتها الدلالية فيما تشير إليه، وقد شرح الفرابي هذه المسألة في كتابه "الحروف"؛ يقول: يقول: "يستعمل [ما] في السؤال عن شيء

[1]/ منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 47.

ما مفرد، وقد يقرن باللفظ المفرد والذي للدلالة عليه أولاً وهو الشيء الذي جعل ذلك اللفظ دالاً عليه[1]. "

ج- الدلالة المحتواة في النفس:

يطلق الفرابي على المعاني والدلالات مصطلح منطقي هو: المعقولات، ومحلها النفس. فالعلاقة بين الألفاظ والمعاني علاقة منتظمة بقواعد منطقية عند الفرابي .ويرى الدكتور منقور عبد الجليل أنه يمكن تعريف علم الدلالة عند الفرابي" :بأنه الدراسة التي تنتظم وتتناول الألفاظ ومدلولاتها، وتتبع سنن الخطاب والتعبير لتقنينه وتقعيده[2]. "

3- أبو حامد الغزالي(ت505هـ):

من علماء الأصول، تجاوز عصره بما جاء في كتابه" المستصفى من علم الأصول"، وأهم المسائل الدلالية التي تناولها الغزالي:

-أصناف المعنى: لقد حدد الغزالي أصناف الدلالة بمصطلحات أصولية لكنها توازي في صيغتها المفهومية تصنيفات المعنى عند علماء الدلالة المحدثين، وهي: المعنى الإرشادي أو الإيمائي، والمعنى الاتساعي، المعنى السياقي، وتقابلها على نحو هذا الترتيب أنواع الدلالة عند الغزالي: دلالة الإشارة، ودلالة الاقتضاء، وفحوى الخطاب. يقول الغزالي في تعريف دلالة الإشارة: «مَا يُؤْخَذُ مِنْ إشَارَةِ اللَّفْظِ لَا مِنْ اللَّفْظِ، وَنَعْنِي بِهِ :مَا يَتَّسِعُ اللَّفْظُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيدِ قَصَدَ إلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ قَدْ يُفْهِمُ بِإِشَارَتِهِ، وَحَرَكَتِهِ فِي أَثْنَاءِ كَلَامِهِ مَا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ نَفْسُ اللَّفْظِ فَيُسَمَّى إشَارَةً، فَكَذَلِكَ قَدْ يُتْبَعُ اللَّفْظُ مَا لَمْ يَقْصِدْ بِهِ، وَيُبْنَى عَلَيْهِ[3].«

[1]/ محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، ص 85.

[2]/ المرجع السابق، ص91.

[3]/ أبو حامد الغزالي، المستصفى من علم الأصول، ص123.

أمّا دلالة الاقتضاء فهي التي لا تكون مستفادة من اللفظ، ولكن تكون من ضرورة اللفظ (هي الدلالة المنطقية العقلية). يقول الغزالي: «فِيمَا يُقْتَبَسُ مِنْ الْأَلْفَاظِ لَا مِنْ حَيْثُ صِيغَتُهَا بَلْ مِنْ حَيْثُ فَحْوَاهَا، وَإِشَارَتُهَا، وَهِيَ خَمْسَةُ أَضْرُبٍ الضَّرْبُ الْأَوَّلُ مَا يُسَمَّى اقْتِضَاءً، وَهُوَ الَّذِي لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ، وَلَا يَكُونُ مَنْطُوقًا بِهِ، وَلَكِنْ يَكُونُ مِنْ ضَرُورَةِ اللَّفْظِ إمَّا مِنْ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ كَوْنُ الْمُتَكَلِّمِ صَادِقًا إلَّا بِهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ يَمْتَنِعُ وُجُودُ الْمَلْفُوظِ شَرْعًا إلَّا بِهِ أَوْ مِنْ حَيْثُ يَمْتَنِعُ ثُبُوتُهُ عَقْلًا إلَّا بِهِ[1]. «

قسم الألفاظ باعتبار نسبتها إلى المعاني، يقول» :إنَّ الْأَلْفَاظَ الْمُتَعَدِّدَةَ بِالْإِضَافَةِ إلَى الْمُسَمَّيَاتِ الْمُتَعَدِّدَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ مَنَازِلَ، وَلْنَخْتَرِعْ لَهَا أَرْبَعَةَ أَلْفَاظٍ وَهِيَ: الْمُتَرَادِفَةُ وَالْمُتَبَايِنَةُ وَالْمُتَوَاطِئَةُ وَالْمُشْتَرَكَةُ. [2]«

وضح الغزالي العلاقة بين الصور الذهنية للمدلولات المادية والمجردة، وما يدل عليها من ألفاظ أو خطوط، فالكتابة والألفاظ عنده دال، والصور الذهنية والأمور الخارجية مدلول .

2/ علم الدلالة عند النحاة واللغويين والبلاغيين:

1- عمرو بن بحر بن محبوب، أبو عثمان(160هـ-255هـ):

يمكن من خلال كتابي (البيان والتبيين، والحيوان) للجاحظ أن نوجز أهم المسائل التي تطرّق إليها في سياق تناوله للقضايا اللغوية والبلاغية في النقاط التالية: أبان الجاحظ عن مكامن اللغة العربية الجمالية، كما تطرّق إلى مسألة نشأة اللغة بين التوفيق والاصطلاح، ومذهبه في ذلك مذهب القائلين بالتوقيف، وحججه :كلام عيسى –عليه السلام –بالحكمة وهو صبي؛ وحاجة آدم وحواء للغة من أجل التفاهم والتحاور؛ وإتيان

[1]/ المرجع نفسه، ص43.

[2]/ المرجع نفسه، ص 46.

القرآن بألفاظ لم يعرفها العرب من قبل. ومع ذلك فهو لا ينفي تواضع أهل اللغة واصطلاحهم ألفاظا جديدة.

عكف على الدراسة الصوتية للحرف واللفظ، لكون ذلك يفضي إلى استقامة البيان وحصول الإبلاغ. كما أشار إلى الأمراض النطقية التي تؤدي إلى اختلال التعبير[1] .

وتعد الدراسة الصوتية فرعا من فروع اللسانيات الحديثة تحت مسمى علم الأصوات (الفونيتيك).

قسّم العلامة إلى أصناف تقسيما دقيقا في عرضه لأدوات البيان، يقول:"وجميع الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أواها اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى النصبة[2]. "

واللفظ هو اللفظ اللغوي، أمّا الخط فيقصد به الكتابة، وأمّا الإشارة فهي بالتعبير الحديث العلامة غير اللغوية كلغة الجسد، يقول الجاحظ في شرحها ":فأما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين والحاجب والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف. وقد يتهدد رافع السيف والسوط، فيكون ذلك زاجرا، ومانعا رادعا، ويكون وعيدا وتحذيرا" [3]. ويقصد بالنوع الثالث من هذه الأصناف–العقد– الحساب، ويقول في أهميته: "والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة. وفي عدم اللفظ وفساد الخط والجهل بالعقد فساد جل

[1]/ الجاحظ ، البيان والتبيين، ص 75

[2]/ المرجع نفسه، ص 77.

[3]/ المرجع نفسه، ص 80.

النعم، وفقدان جمهور المنافع، واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما، ومصلحة ونظاما[1]. "

أمّا الحال أو النّصبة فيقصد بها العوالم المادية المحسوسة، يقول: "النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد. وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص. فالدلالة التي في الموات الجامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق. فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان. ولذلك قال الأول: «سل الأرض فقل: من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا. "[2]«

ومن المباحث التي تناولها في كتابيه والتي لها صلة بالدلالة: وظائف الكلام، والدلالة السياقيّة.

يقول الجاحظ في حاجة الإنسان إلى البيان: "لا يعرف الإنسان ضمير صاحبه، ولا حاجة أخيه وخليطه، ولا معنى شريكه والمعاون له على أموره، وعلى ما لا يبلغه من حاجات نفسه إلا بغيره[3] ".

من وظائف البيان التعبير عما في النّفس، على اختلاف مافيها أي معارف أو عواطف... "وهذا ما يكاد يعنيه(جاكبسون)، من الوظيفتين المرجعية (Referentielle) والوظيفة التعبيرية أو الانفعالية (Emotive) إذ الأولى تعني التخاطب بهدف الإشارة إلى

[1]/ المرجع نفسه، ص 81.

[2]/ المرجع نفسه، ص79.

[3]/ المرجع نفسه، ص 83.

محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين، وتبادل الآراء معهم، أمّا الثانية فهي تتمحور حول إبراز موقف المتكلم–خاصة– من مختلف القضايا موضوع حديثه[1]. "

وحول الدلالة السياقيّة يقول الجاحظ كاشفاً عن الدلالة المقامية أنّه ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستعمين وحالاتهم، فيجعل لكلّ طبقة منهم كلاما يخصهم به حتى يقسم بالتساوي أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات التي هم عليها المستمعون وحالتهم[2]. "

من خلال ما سبق يمكن القول إن جلّ مباحث الدرس الدلالي الحديث(اللغة، علاقة اللفظ بالمعنى، أقسام العلامة، وظائف الكلام، الدلالة السياقية..) تناولها الجاحظ في سياق تأسيسه لعلم البيان.

2– أبو الفتح عثمان بن جني(320هـ–392هـ):

ابن جني من علماء القرن الرابع الهجري، اهتمّ بدراسة اللغة العربية حتى بدت "في خصائصه– كتاب الخصائص– لغة لا تدانيها لغة لما اشتملت عليه من سمات حسن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، كما فتح أبواباً بديعة في العربية لا عهد للنّاس بها قبله كوضعه لأصول الاشتقاق بأقسامه، ومناسبة الألفاظ للمعاني[3]. "

*** وأهم المسائل الدلالية التي تناولها:**

–نشأة اللغة:

عرض ابن جني أراء علماء عصره حول قضية نشأة اللغة ووقف موقفا وسطا، فقال بالإلهام والاصطلاح معًا؛ يقول أبو الفتح:" فأقف بين تين الخلتين(الإلهام والعرف) حسيراً،

[1]/ أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظر والتطبيق، ص 100.

[2]/ الجاحظ، البيان والتبيين، ص83.

[3]/ حكمت كشلي فواز، سلسلة دراسات معجمية لغوية، ص 92.

أو أكاثرها فأنكفئ مكثورا، وإن خطر خاطر فيما بعد يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها(أو يفكها) عن صاحبتها قلنا به[1]. "

علاقة اللفظ بالمعنى: تناول ابن جني مسألة العلاقة بين اللفظ والمعنى من ثلاثة جوانب:

أ- تلاقي المعاني على اختلاف الأصول والمباني: يقول:" هذا فصل من العربية كثير المنفعة قوي الدلالة على شرف هذه اللغة، وذلك أن نجد للمعنى الواحد أسماء كثيرة، فتبحث عن أصل كلّ اسم منها فتجده مفضي المعنى غلى معنى صاحبه" . وفي هذا القول إشارة غلى وجود الترادف في اللغة، وقد وضّح ابن جني هذه المسألة بالشواهد .

ب- تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني :وفي هذا الباب بيّن تقارب الدلالات لتقارب حروف الألفاظ من حيث المخارج، ومثاله شرحه-ابن جني- للفظ "أزا" الوارد ذكره في قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾، يقول أبو الفتح:" أي: تزعجهم وتقلقهم، فهذا في معنى تهزّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين. وكأنهم خصّوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزِّ؛ لأنك قد تهز ما لا بال له كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك" [2]. وقد وضّح ابن جني هذه الجوانب بكثير من الشواهد، وأظهر من خلالها القيمة التعبيرية لأصوات العربية وأبنيتها.

ج- باب إمساس الألفاظ أشباه المعاني: في هذا الباب أشار إلى العلاقة الطبيعية بين الأصوات ومدلولاتها، وكذا أبنية الكلمات وما تتحمله من دلالة طبيعية، يقول: "اعلم

[1]/ ابن جني، الخصائص، ص 87.

[2]/ المرجع نفسه، ص 89.

أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبَّه عليه الخليل وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته"[1].

قال الخليل: كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدًّا فقالوا: صَرَّ، وتوهموا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا: صرصر[2].

وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو: النقزان والغلبان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال[3]. "

أمّا ابن جني فقد قسّم الدلالة إلى ثلاثة أنواع تحت ما سماه دلالة الفعل،

- ✓ الأول: الدلالة اللفظية: ويجمع هذا النوع بين ما يصطلح عليه في الدرس الدلالي الحديث بالدلالة الصوتية والدلالة المعجمية.
- ✓ الثاني: الدلالة الصناعية: ويقصد به الدلالة الصرفية. أمّا النوع الثالث فهو الدلالة المعنوية: ويقابلها حديثا الدلالة النحوية[4].

الحقيقة والمجاز:

فرّق ابن جني بين الحقيقة والمجاز في الباب الأول عل أساس الوضع، وبيّن دواعي الانتقال من الحقيقة إلى المجاز، يقول:" الحقيقة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه في اللغة، والمجاز: ما كان بضد ذلك. وإنما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي: الاتساع والتوكيد والتشبيه. فإن عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة.[5] "

---

[1]/ ابن جني، الخصائص، ص85.

[2]/ الخليل ابن أحمد، معجم العين، مادة ص ر.

[3]/ سيبويه، الكتاب، 220.

[4]/ محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، ص321.

[5]/ ابن جني، الخصائص، ص88.

مما سبق يمكن القول إنّ مصنفات ابن جني كانت ثرية بالدرس الدلالي، فقد تقاطعت المسائل التي تناولها بمباحث علم الدلالة، لذلك يمكننا القول إن لنا في التراث العربي نظرية دلالية لا تحتاج سوى إلى إعادة ترتيب العناصر وتصنيفها في مجال محدد، ولعل ثراء مؤلفات ابن جني يعود إلى اعتماده على جهود سابقيه، وكأنّ ابن جني- إن صحّ التعبير- قام باستثمار كل ما ثبت عن هذه اللغة من خصائص وجمعه وشرحه وفصله في كتابيه الخصائص، وسر صناعة الإعراب.

الشريف الجرجاني(ت 816هـ):

بالإضافة إلى تعريفه للدلالة التعريف الجامع لعلم الدلالة وعلم الرموز، حيث يقول:" الدلالة هي كون الشيء بحاله يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وإشارة النص واقتضاء النص[1]. "

فمن خلال هذا التعريف يمكن القول: إنّ أقسام الدلالة عنده إلى قسمين: الدلالة اللفظية والدلالة غير اللفظية. لقد قام عدة باحثين في العصر الحديث على إجراء مقاربة علمية بين ما توصل إليه الجرجاني في تقسيماته للدلالة، وما توصل إليه علماء الدلالة في العصر الحديث، ومنهم العالم الأمريكي (بيرس).

من خلال طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول يحصي الجرجاني ثلاثة مستويات صورية تنتج عنها ثلاث دلالات:

1-دلالة العبارة

2-دلالة الإشارة

[1]/ الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، ص 54.

3-دلالة الاقتضاء

وقد كنا وبينا كل من دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء عند الغزالي.

أمّا دلالة العبارة فالمقصود بها:" المعنى الذي يتبادر إلى الذهن من صيغة النص، وهو الذي قصده الشارع من وضع النص لأنّ المشرّع حين يضع النص يختار له من الألفاظ والعبارات ما يدل دلالة واضحة على غرضه ثمّ يصوغه بعد ذلك بحيث يتبادر المعنى المقصود من النص إلى ذهن المطلع بمجرد الإطلاع عليه[1]. "

لقد قام الأمريكي هياكوا بتحديد نوعين من المعاني: المعنى القصدي والمعنى الاتساعي، أو كما يسمى في الألسنية الحديثة بالمعنى الإيمائي، والمعنى القصدي هو معنى العبارة، والمعنى الاتساعي والمعنى الإيمائي، يقابلهما كل من دلالة الاقتضاء، ودلالة الإشارة[2].

ومجمل القول: إنّ الدلالة في العصر الحديث تتضح عند الجرجاني بكونها العلاقة بين المحتوى الفكري واللفظ، ويكون الاعتماد على قرائن لغوية في تحديد الدلالة المقصودة.

[1]/ فريد عوض حيدر، الخصائص الدلالية لآيات المعاملات في القرن الكريم.،ص 123.

[2]/ مجيد الماشطة، علم الدلالة لبالمر، ص 46.

المحاضرة الثالثة: أنواع الــدلالة

أ- أنواع الدلالة عند القدامى:

اختلف تصنيف أنواع الدلالات بين القديم والحديث، فالقدامى صنفوها بالنظر إلى اختلاف أنواع العلامة (لغوية وغير لغوية)، فكانت الدلالة اللفظية وغير اللفظية، ونظروا إلى اختلاف أنواع المدلولات، فكانت الدلالة الوضعية والعقلية والطبيعية أنواع تندرج تحت كل صنف من أصناف الدلالات السابقة، وبالنسبة للدلالة اللغوية، والتي تندرج تحت ظل الدلالة اللفظية صنفوا الوضعية منها بحسب نسبة العلاقة بين الدال والمدلول، فأوجدوا دلالة المطابقة، ودلالة التضمين، ودلالة الالتزام، ويمكن توضيح أنواع الدلالة عند القدامى كالتالي:

- الدلالة لفظية غير لفظية.
- وضعية عقلية طبيعية .
- مطابقة تضمين التزام.

1- **الدلالة اللفظية الوضعية (المعرفية)**: لا تنعقد إلا بتوفر ثلاثة أركان» :اللفظ وهو نوع من الكيفيات المسموعة، والمعنى الذي جعل اللفظ بإزائه، وإضافة عارضة بينهما هي الوضع، أي جعل اللفظ بإزاء المعنى على أن المخترع قال: إذا أطلق هذا اللفظ فافهموا هذا المعنى»[1]، فهي الدلالة الاصطلاحية، أي هي دلالة الألفاظ على معانيها الموضوعة بإزائها.

[1]/ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص46.

2- **الدلالة:** وهي الأصوات التي يدرك بها العقل حقيقة شيء ما، كدلالة الصوت على*العقلية حياة صاحبه، حين يسمع مثلا من وراء جار صوت حيوان أو إنسان ندرك أن هذا الكائن لا يزال حيا، وكدلالة اللفظ على لافظه.

3- ***الدلالة الطبيعية** »وهي حكايات أصوات المسموعات كحفيف الأشجار ونزيب الظبي، وسحيح البغل، ونهيق الحمار... »، وكدلالة "أح" على الوجع، ولكون النوع الأوّل يمثل جوهر الدلالة وموضوع علمها، اهتمّ الدارسون اللغويون والبلاغيون بهذا النوع وهو الدلالة اللفظية الوضعية، وقسّمه إلى ثلاثة أنواع هي: [1]

أ- دلالة المطابقة: وهي دلالة اللفظ على كامل معناه، مثل: دلالة لفظ الإنسان على الحيوان الناطق.

ب-دلالة التضمن: وهي دلالة اللفظ على جزء معناه الموضوع، مثل: دلالة الإنسان على الجسم الحي، يعني إذا دلّ اللفظ على أحد (جزء) المؤلفات التمييزية للمدلول، وليس كلها كانت دلالة تضمين.

ج- دلالة الالتزام :وهي دلالة اللفظ على لازم معناه، مثل: دلالة الحاجب على العين، فالحاجب لا يعني العين لكن ذكره يستدعي حضور العين في الذهن لاقترانه بها.

ب- أنواع الدلالة عند المحدثين:

إنّ تقسيم أنواع الدلالات يكون بحسب كيفية تحديد المدلولات، وتحديدها في الدرس الدلالي الحديث يقوم أولا على أساس التحليل اللغوي، باعتبار الخطاب اللغوي جملة من الوحدات الدالة.

---

[1]/ فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ص200.

ويحدد المحدثون أنواع الدلالة اللغوية بـ: الدلالة الصوتية، والدلالة الصرفية، والدلالة النحوية، والدلالة المعجمية، والدلالة السياقية.

1- **الدلالة المعجمية**: وتسمى الدلالة الأصلية أو الأساسية، وهو جوهر الجذر اللغوي المشترك، يعرّفها تمام حسان بـ: «المعنى الصوري الذي يستدعيه اللفظ»، وقد أشار أولمان إلى هذا المعنى بالمعنى المركزي أو الأساس أو الرئيس، وعرّفه بأنه: «هو ذلك القدر الثابت من المعنى الذي يعرفه كل أفراد البيئة اللغوية أصحاب اللغة المعينة، ويتصل هذا المعنى بالوحدة المعجمية، أي حينما ترد في أقل سياق أي منفردة» [1]، فهي إذن دلالة الكلمة المفردة، أي خارج السياق اللغوي، أي المعنى الذي وضعت له أصلا، وكان ذلك يتم قديما بالرجوع كلام العرب، وحديثا نعتمد على المعاجم في تحديد الدلالة الأصلية للكلمة.

2- **الدلالة الصوتية**: يعرّفها المحدثين بأنها الدلالة المستمدة من طبيعة بعض الأصوات مثل قولنا: النار خامدة وهامدة، فاختلاف الحرف الأول أدى إلى اختلاف المدلول، فالنار الخامدة هي التي قد سكن لهيبها، ولم يطفأ جمرها، والهامدة هي التي طُفئت وانقطعت تماما، وقد تعرض لها ابن جني في كتابه الخصائص واعتبرها أقوى الدلالات وسماها الدلالة اللفظية، ويدخل ضمنها أيضا اختلافات الحركات وأثرها الدلالي، وكذا النبر*والتنغيم*.

3- **الدلالة الصرفية**: يستمد هذا النوع من الدلالة من الصيغ الصرفية للكلمة وابنتيها، فهي دلالة قوالب الألفاظ أو أوزانها، وكان ابن جني يطلق عليها اسم الدلالة الصناعية واعتبرها في المرتبة الثانية من حيث القوة بعد الدلالة اللفظية، يقول:

[1]/ بيير جيرو، علم الدلالة، ترجمة منذر عياشي، ص 147.

«الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظًا فإنها صورة يحملها اللفظ. ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها. فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في العلوم المشاهدة. »[1]

في علم اللغة الحديث تعرف بدلالة المورفيم (Morphème) أو دال النسبة، والمورفيم هو وحدة صرفية حر أو مقيد، الحر: هو جزء من الكلمة، مثل: كاتب (مورفيم حر)، يعني يدل على المفرد المذكر بصيغته دون زيادة لواحق، مثل: كاتبون (الواو والنون مورفيم مقيد)، ومن القيم الدلالية للمورفيم في العربية حروف المضارعة كدلالتها على الفاعل بالإضافة إلى دلالتها على الحال والاستقبال.

4- **الدلالة النحوية**: يقول فايز الداية في تعريفها: «أي أن الكلمة تكتسب تحديدا وتبرز جزءًا من الحياة الاجتماعية والفكرية عندما تحلّ في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية: الفاعلية والمفعولية، الحالية، النعيتية، الإضافة، التمييز، الظرفية...»[2]، فهي الدلالة المستفادة من الوظيفة النحوية للكلمة من خلال رتبتها في هذا النظام، ومن خلال ترتيب الجملة ككل، «فترتيب الكلمات في الجملة العربية يتوقف عليه وضوح دلالتها بحيث لو اختل هذا الترتيب لم يفهم المراد، ومثال ذلك الشطر الثاني من بيت المتنبي:أَنّى يَكونُ أَبا البَرِيَّةِ آدَمٌ وَأَبوكَ وَالثَقلانِ أَنتَ مُحَمَّدُ والوضع الصحيح للشطر الثاني: وأبوك محمد وأنت والثقلان، وقد عدَّ هذا البيت من التعقيد اللفظي، وعلى هذا فالدلالة النحوية هي ما يقتضيه نظام الجملة في لهة من اللغات من ترتيب وهندسة بحيث لو اختل لأصبح من العسير أن يفهم المراد منها«

[1]/ ابن جني، الخصائص، ص452.

[2]/ فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ص200.

5- **الدلالة السياقية**: لتحديد المقصود بهذا النوع من الدلالة لا بدّ أولا من توضيح معنى السياق؛ وهو الغرض الذي سبق لأجله الكلام ،، ويطلق أيضا على الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، ويطلق البلاغيون على هذا النوع الحال أو المقام، كما يطلق أيضا على المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية، أي ما يسبقها من الكلام وما يلحقها، وهذا الأخير يسمى السياق اللغوي، والأول سياق الموقف[1].

وقد صرّح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة، وقد ذكر ذلك أيضا الشافعي –كما رأينا في المحاضرة الثانية– فدراسة المعنى تتطلب تحليلا للسياقات اللغوية وغير اللغوية التي ترد فيها الكلمات «فالدلالة السياقية تشير إلى ذلك الترابط العضوي بين عناصر الجملة، وهو ما يشكل بنية اللغة، بل إنّ مفهوم الدلالة السياقية يتّسع ليشمل مجموع الجمل التي تكوّن النص.[2]» فلا يكفي النظر إلى الدلالة المعجمية لتحدد المعنى لأن الكلمة في تعالقها مع باقي الوحدات اللغوية داخل التركيب تكتسب دلالة إضافية لا يمكن تحديدها إلا بإدراك العلاقة بينها وبين الوحدات المجاورة لها.

يقول ستيفن أولمان: «إنّ السياق ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، بل والقطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل بوجه من

[1]/ مجموعة ملفين، علم الدلالة والمعجم العربي، ص341.

[2]/ كلود جرمانو ريمون لوبلان، علم الدلالة، ترجمة نور الهدى لوشن، ص 65.

الوجوه كلّ ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات»[1]، فهو يشير إلى دلالة المقام، بالإضافة إلى السياق اللغوي.

دلالة المقام:

إن التحليل الدلالي للسياق اللغوي يعطينا معنى المقال أو المعنى الوظيفي، أو المعنى الظاهر أو الحرفي، وهذا لا يكفي لتحديد الدلالة، فلا بدّ من معرفة الأحداث والظروف الاجتماعية التي صاحبت أداء المقال، يقول تمام حسان: «حين نفرغ من تحليل الوظائف على مستوى الصوتيات والصرف والنحو، ومن تحليل العلاقات العرفية بين المفردات ومعانيها على مستوى المعجم، لا نستطيع أن ندَّعي أننا وصلنا إلى فهم المعنى الدلالي؛ لأنَّ الوصول إلى هذا المعنى يتطلّب فوق كل ما تقدَّم ملاحظة العنصر الاجتماعي الذي هو المقام.[2] »

[1]/ المرجع نفسه، ص67.

[2]/ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص224.

المحاضرة الرابعة: العلاقات الدلالية:

1/ علاقة اللفظ بالمعنى:

إنّ الحديث عن العلاقات الدلالية حديث عن الارتباط الوثيق بين طرفي الفعل الدلالي، أي بين الدال والمدلول، والدال في الاستعمال اللغوي يطلق على اللفظ أو الكلمة، وإن كان مدلول اللفظ أعم من مدلول الكلمة من حيث دلالته الأصلية، فهو يطلق على ما يرمى من الفم، ويشمل الكلام وغيره لفظ الأنفاس، وأمّا الكلمة فهي «اللفظ الموضوع لمعنى مفرد»، وفي هذا يقول ابن مالك:

كلامنا لفظ مفيد كاستقم ***واسم وفعل ثمّ حرف الكلم

فاللفظ يشمل «المهمل والمستعمل، فالمهمل ما يمكن ائتلافه من الحروف، ولم يضعه الواضع بإزاء معنى نحو: صِص، وكف، ونحوهما، فهذا وما كان مثله لا تسمى واحدة منها كلمة لأنه ليس شيئا من وضع الواضع، ويسمى لفظة لأنه جماعة من الحروف ملفوظ بها»[1]، أمّا الكلمة «فإنها لا تشمل إلا ما يدل على معنى يتساوى في ذلك قليل الأصوات وكثيره»[2]، أو بتعبير آخر «أصغر وحدة ذات معنى للكلام واللغة»، هذا في تعريف المحدثين للكلمة، أمّا النحاة القدامى فإنّ الكلمة عندهم كما تطلق على الكلمة المفردة، فإنها قد تطلق على الجملة، والنص، بل والقصيدة، غير أنّ علماء اللغة المحدثين يذهبون إلى أن اللفظ مرادف للكلمة، يقول إبراهيم أنيس» :أداة الدلالة هي اللفظ أو الكلمة»[3]، إذن فلا يكتسب اللفظ قيمة وظيفية، إلا عند اقترانه بالمعنى.

---

[1]/ محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص51.

[2]/ المرجع نفسه، ص 53.

[3]/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص91.

والمعنى هو» :أمر ذهني مجرد ينطبع في عقل الإنسان من خلال موقف التعليم والخبرة التي يمر بها، وقاعدته الأساسية أنه –في أضيق حدوده– اصطلاحي بين أبناء اللغة، تقوم العوامل الدينية والاجتماعية والنفسية والسياسية وغيرها، بدور كبير في تكوينه وإقراره، فالمتكلم يعتمد على رصيده من المعاني، فهو يسترجعها ويختار منها المعنى المناسب لهذا الموقف أو ذاك. [1]«

إن العلاقة التلازمية بين اللفظ والمعنى، ودورهما في تشكيل كل أنواع الخطاب التواصلية بما في ذلك النصوص الإبداعية؛ كانت العلاقة بينها محور اهتمام البلاغيين والنقاد، خاصة فيما يتعلق بمسألة التفاضل بين اللفظ والمعنى، ولعلّ أشهر ما قيل في ذلك ما جاء عن الجاحظ (ت 255هـ)، حيث قال: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والقروي والبدوي، وإنّما الشأن في إقامة الوزن، وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك، وإنما الشعر صياغة وضرب من التصوير»[2]، لكن الإمام عبد القاهر الجرجاني رأى غير ذلك الرأي، فهو يرى بأسبقية المعاني على الألفاظ، دون مفاضلة بينهما.

ونظرا لأهمية اللفظ والمعنى لم يقصر الاهتمام بهما على البلاغيين، بل هيمن على تفكير اللغويين والنحاة والفقهاء والمتكلمين من القدامى والمحدثين، ولعلّنا نلمس أثر ذلك الاهتمام فيما وضع من معاجم، ودراسات، ومحاولات تفسير العلاقة بين اللفظ والمعنى، ومن ذلك على سبيل المثال جهود البلاغيين في هذا الشأن دراستهم لمسألة الحقيقة والمجاز، ودراسة الظواهر البديعية اللفظية.

---

[1]/ سعيد بحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ص 37.

[2]/ الجاحظ، البيان والتبيين، ص 312.

ولعلّ أكثر جهد بارز نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، فقد تجاوزت هذه النظرية حدود العلاقة بين اللفظ والمعنى إلى العلاقة بين كيفية تعالق الألفاظ في التركيب والمعنى.

تتنوع العلاقات الدلالية بتنوع العلاقات بين الألفاظ والمعاني على أساس الالتقاء أو التفريق في مباني الألفاظ ومعانيها، ويكون ذلك على النحو التالي:

- ✓ أولا: إمّا أن نعبر عن كل معنى بلفظ يخصّه، فلا يتعداه إلى غيره، مثل ألفاظ أفراد الجنس: كرجل وامرأة، وناقة، وجمل...
- ✓ ثانيا: أن يشترك لفظان أو أكثر في دلالة واحدة أو معنى واحد كالبر والحنطة والعير والحمار...
- ✓ ثالثا: أن يشترك معنيين متضادان في لفظ واحد، وهذا هو المتضاد كالجون والقرء والصريم.
- ✓ رابعا: قد تدل اللفظة الواحدة مع محافظتها على لفظها وأصواتها على أكثر من معنى دلالة مستوية، وهذا هو المشترك اللفظي.[1]

2/ الدلالة اللغوية (العلاقة بين الدال والمدول):

من خلال ما سبق عرفنا أن علم الدلالة تشكَّلَ عبر مرحلتين أساسيتين الأولى: التناول الدلالي ضمن اهتمامات لغوية أخرى، والأخرى: التفات الباحثين إلى التركيز على قضايا الدلالة ووضع مصطلح Sémantique، غير أن دخول الدلالة في مجالات مختلفة جعلته ألصق بعلم الرموزSémiologie ، لذلك نبَّه دارسون دلاليون على ضرورة تحديد المصطلح وتأطيره بالدلالة اللغوية، وبهذا أضحى علم الدلالة «يعنى بدراسة الدلالات

[1]/ عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص143.

الألسنية، وعلى الأخص الجانب المعنوي من هذه الدلالات، أي المدلول.[1] «

فإذا كان موضوع علم الدلالة الوقوع على قوانين المعنى التي تكشف أسراره وتبين السبيل إليه وكيفية حركته، فإن علم الدلالة يقوم على أساس تحديد العلاقة بين الدال والمدلول.

الدال والمدلول:

إنَّ العلاقة بين الدال والمدلول من أهم القضايا التي تناولها علماء الألسنية، وكانت تقتصر على علاقة اللفظ بالمعنى، وفي مجال علم الدلالة أصبحت تتعلق بالدال والمدلول سواء أكان الدال لفظا أو غير لفظ، فالدال اللغوي هو العلامة اللسانية، أو كما يسميها (أولمان) اللفظ، وهو أحد طرفي الفعل الدلالي، والطرف الآخر هو المدلول أو كما يسميه أولمان الدلالة، وهو الفكرة التي يستند عليها اللفظ.

فهناك علاقة طردية بين طرفي الفعل الدلالي كلاهما يستدعي الآخر، فالدال اللغوي لا يمكن أن يحيل إلى الشيء الذي يعنيه في العالم الخارجي مباشرة، وإنّما مرورا بالمدلول أو المحتوى الذهني الذي يرجعنا إلى الشيء الذي تشير إليه العلامة اللسانية. ويمكن تقديم علاقة العلامة اللسانية بالمدلول، والموجود في الأعيان على النحو التالي:

- ❖ المدلول(Signifie)
- ❖ المرجع (Référent) الدليل (الرمز (Signe))

أما المرجع فهو يجمع بين العوالم المادية المحسوسة، والمجردة، ولا يتم استحضاره إلا من خلال المدلول، إلا في حالات قليلة يستحضر فيها المرجع بواسطة الدال مثلا في أسماء الأعلام.

[1]/ المرجع نفسه، ص31.

وأمَّا المدلول فهو محور علم الدلالة، من حيث اهتمام هذا الأخير بالجانب المفهومي للدال، ولكن ذلك لا يتم إلا وفق معايير علمية: «فالمدلول يتحدد بواسطة الوحدات المجاورة له، وكلّ تغيّر يصيب وحدة ما من وحدات النظام يمكن أن ينعكس على مجموع أو جزء من هذا النظام (...) فقيمة وحدة ما هي ذات طبيعة علائقية(Relationnel) ، وهذا لا ينفي على كل حال الوجود الإيجابي للمدلول كوحدة معجمية. [1]» وإن كان المدلول يحمل دلالة أساسية في صورته اللفظية، غير أنه قابل لاكتساب جوانب مفهومية أخرى، تتنوع بتنوع السياق، ومن الطرق التي اعتمدت في العصر الحديث لتصنيف المدلولات الطرق الآتية:

1- الطريقة الشكلية: بنية الكلمة والأصل الواحد، مثل: عَلِمَ، يعلم، تعليم، معلم...
2- الطريقة السياقية: تفيد أن المدلولات تصنف باعتبار المعنى الذي ترد من خلاله في السياقات المختلفة.
3- الطريقة الموضعية: تعني أن المدلول يتحدد من خلال الموضع والموقف الذي يكون فيهما المتكلم.
4- الحقول الدلالية: وهي تكشف عن القرابة المعنوية بين المدلولات.
5- التحليل المؤلفاتي: وهو يفيد أن المدلول يعيّن انطلاقا من مؤلفات الكلمة الأساسية، أو ما يطلق عليه باللكسيم مثل: "لكسيم امرأة" يحوي المؤلفات التالية: أنثى+ بالغ+ بشر[2].

---

[1]/ / سعيد بحيري، إسهامات أساسية في العلاقة بين النص والنحو والدلالة، ص 312.
[2]/ محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة، ص342.

إنّ هذه الطرق تساهم بشكل كبير في وضع المعاجم، كما تساعد في عملية التحليل الدلالي للنصوص اللغوية.

3/ العلاقة بين الدال والمدلول:

العلاقة بين الدال والمدلول أهي عرفية اصطلاحية أم اعتباطية؟

لقد أثارت هذه القضية الكثير من الجدل، منذ تساؤل الإنسان عن نشأة اللغة، ولقد عرض السيوطي في المزهر آراء المتحاورين الذين كان يذهب جمهورهم إلى عرفية الدلالة، ففي باب القول على اللغة أإلهام هي أم اصطلاح؟ يقول ابن جني: «هذا موضع محوج إلى فضل تأمل غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح لا وحي وتوقيف» [1]. وقد ذكر رأي أبي علي الفارسي في احتجاجه بقوله تعالى في الآية الواحدة والثلاثين من سورة البقرة :﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ بأن الله سبحانه أقدر آدم على أن واضع عليها.

ويفصِّل الإمام الغزالي في كتابه (المنخول) هذه المسألة بما يقرب من تأويل ابن جني، مما يجعل قضية (الاصطلاحية) قائمة في آفاق الباحثين في اللغة والفكر والاجتماع، من منطلق أن لكل رمز لغوي شرعية لغوية في مجتمعه اللغوي، ويؤدي وظيفة دلالية، فإنه لا صلة لازمة بين الدال ومدلوله بشكل طبيعي، وهذا هو المقصود بالاعتباطية، أي اختفاء العلة بين الدال والمدلول، ويتضح ذلك فيما قاله الجرجاني في دلائل الإعجاز حيث قال : »مما يجب إحكامه أنَّ "نظْمَ الحروفِ"[2] هو تَواليها في النطق، وليس نظمُها بمقتضى عن معنى، ولا الناظمُ لها بمُقْتَفٍ في ذلك رَسْماً منَ العقلِ اقتضَى أَنْ يَتَحرَّى في نظمِهِ لها ما

[1]/ ابن جني، الخصائص، ص400.

[2]/ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص420.

تَحَرَّاه. فلو أَنَّ واضع اللُّغة كان قد قال "ربضَ" مكان "ضرَبَ"، لما كَانَ في ذلك ما يؤدي إلى فَسَاد.

فمن خلال قوله (واضع اللغة) فالعلاقة بين الدال والمدلول تقوم على أساس العرف اللغوي والاجتماعي، يقول فايز الداية: «النتيجة وهي أننا لا نفهم الألفاظ الأجنبية العديدة للأمم رغم أنها تدل على أشياء نعرفها، فمن لا يعرف الفرنسية أو الإنجليزية أو الإيطالية يسمع L'enfant و Boyو Bambinsويكون أمامه أطفال أو هو إن لم يرهم مباشرة يعرفهم ولا يستطيع الربط بين الصوت في كلمة وما يدل عليه، وإنما هو عرفي، لذا اختلفت الكلمات أصواتا وكتابة بين لغات الأمم»[1]، ففكرة الاعتباطية أثيرت أيضا في الدرس اللساني الحديث، ومفادها عدم وجود علاقة طبيعية إلزامية تقد دال بمدلول معين، وهذه الاعتباطية في الاقتران العرضي بين الدال والمدلول تعتبر الخلية الحيوية التي تشرف على عملية التوالد الداخلي في اللغة، ويتم استحداث تراكيب وصيغ لغوية جديدة وابتكار مدلولات لها بحكم مرونة الألفاظ.

كما أنّ معيار الاعتباطية في العلاقة الدلالية في النظام اللغوي تتحدد على أساسه العملية الإبلاغية والتواصلية، فكلما تحققت العلاقة الاعتباطية بكثافة في لغة الخطاب كلما بلغ النظام التواصلي مداه وانتهى الجهاز الإبلاغي إلى حدّه الأوفى.[2]

اهتم أصحاب نظرية المجال الدلالى بالعلاقات الدلالية داخل المجال الدلالى حيث إن معنى الكلمة عندهم هو محصلة علاقاتها بالكلمات الأخرى فى المجال الدلالى نفسه، وأهم هذه العلاقات:(•)

[1]/ فايز الداية، علم الدلالة العربي بين النظرية والتطبيق، ص463.

[2]/ المرجع نفسه.

1-الترادف Synonymy

2-التضاد Antonymy

3-الاشتمال "التعميم Hyponymy"

4-علاقة التخصيص.

5-التباين.

1- الترادف:

علاقة الترادف من أكثر العلاقات الدلالية وقوعًا بين ألفاظ المجال الدلالى؛ نظرًا لتشابه وتقارب كثير من الملامح الدلالية بين ألفاظ المجال الواحد، مما يتيح لأفراد الجماعة اللغوية استخدام ألفاظ المجال الدلالى كمترادفات يحل بعضها مكان بعض.

- **الترادف عند القدماء** :

عرفه القدماء بأنه " الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد، باعتبار واحد"، ومثاله ما أورده ابن جنى فى "الخصائص" تحت "باب: فى تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى"، مثل: الخَليقة، السجية، الطبيعية، الغريزة، السَّليقة.

واضطربت آراء القدماء فى الترادف، وتوزعت بين مؤيد ومعارض، والتصنيف الذى أورده الدكتور كمال بشر) فى تعليقاته على ترجمة كتاب دور الكلمة فى اللغة (يظهر بوضوح ودقة موقف القدماء تجاه قضية الترادف، وسوف يسير البحث هنا على هدى هذا التقسيم.

1-فريق يؤمن بوجود الترادف، لكنه ترادف غير تام، أى بمعنى التقارب فى المعنى ومن هؤلاء ابن فارس) ت: 395هـ(، حيث يقول بعد ذكر عدد من المترادفات: "... على مذهبنا فى أن فى كل واحدة منها ما ليس فى صاحبتها من معنى وفائدة" أى

أنه يؤمن بالترادف ولكن على أساس أن لكل كلمة لونًا معينًا من المعنى، أو على الأقل فائدة أو وظيفة خاصة فى الاستعمال[1]" ، كذلك أبو سليمان الخطابى) ت 388هـ (الذى يقول: " إن فى الكلام ألفاظًا متقاربة المعنى، يحسب أكثر الناس أنها متساوية فى إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة، والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وقولك: اقعد واجلس، وبلى ونعم من وعن، ونحوها من الأسماء والأفعال والحروف والصفات، والأمر فيها وفى ترتيبها عند علماء اللغة بخلاف ذلك، لأن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن صاحبتها فى بعض معانيها، وإن كانا يشتركان فى بعضها[2]. "

2– فريق ينكر وجود الترادف فى اللغة إنكارًا تامًّا، ومن هؤلاء أبو على الفارسي الذى أنكر على ابن خالويه أن للسيف خمسين اسمًا، وقال أبو على: "لا أعرف له إلا اسمًا واحدًا، فقال ابن خالويه: وأين المهند، والعضب، وكذا وكذا؟ فقال أبو على: هذه صفاته ."ولا شك أن صفات السيف لها معان مستقلة ومغايرة لاسم السيف، وبالتالى لا يقع الترادف بينها جميعًا. ومن أشهر اللغويين المنكرين للترادف ابن الأعرابى) ت231هـ(، حيث يقول "كل حرفين أوقعتهما العرب على معنى واحد، فى كل واحد منها معنى ليس فى صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، وربما جهلناه، فلم نلزم العرب جهله"، وقد ألف أبو هلال العسكرى كتابه " الفروق اللغوية " لإثبات الفروق بين الألفاظ التى قيل بترادفها[3].

1/ ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص 323.

2/ سليمان الخطابي، غريب الحديث، ص230.

3/ عبد الجليل منقور، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 111.

3–فريق ثالث يؤمن بوقوع الترادف مطلقًا، ويرون أن الترادف من أخصّ خصائص العربية، وحجتهم فى ذلك: أن أصحاب اللغة " إذا أرادوا أن يفسروا اللبّ قالوا: هو العقل، أو الجَرْح، قالوا: هو الكسب، أو السكب، قالوا: هو الصب، وهذا يدل على أن اللب والعقل عندهم سواء، وكذلك الجرح والكسب والسكب والصب، وما أشبه ذلك."

وقد أفرد بعضهم كتبًا للكلمات المترادفة، مثل :

1–ابن خالويه) ت:370هـ :(ألف كتابًا فى أسماء الأسد، وكتابًا آخر فى أسماء الحية.

2–الفيروزأبادى) ت: 817هـ (وضع كتابًا أسماه " :الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف."

واحتج المؤمنون بوقوع الترادف مطلقًا " بأنه لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى؛ لما أمكن أن نعبر عن شيء بغير عبارة، وذلك أنا نقول فى} :لا ريب فيه{: لاشك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ، فلما عُبِّرَ بهذا عن هذا عُلم أن المعنى واحد."

لكن ابن دَرَسْتَوَيْه وجّه نقدًا للمؤمنين بوقوع الترادف مطلقًا، واتهمهم "بأنهم جهلوا حقيقة الأمر، فهو يرى أن الفروق فى الدلالات بين المترادفات كان يعرفها العرب الأول ويدركونها بسليقتهم وطبيعتهم السليمة، ولكن هؤلاء القوم القائلين بوقوع الترادف لم يستطيعوا فهْم هذه الفروق وإدراكها، فظنوا أن الكلمات متحدة المعنى، ونسبوا ذلك إلى العرب، وهذا خلاف الواقع[1]."

جانب من العلماء صنفوا الترادف إلى قسمين:

---

[1]/ أبي عبيد القاسم بن سلام، ثلاثة نصوص في الأضداد، ص365.

أ- الترادف الواقع بين العبارات والجمل، لا الكلمات المفردة، مثل: لَمّ الشعث- رتق الفتق، وعرفوه بأنه: " إقامة لفظ مكان لفظ، لمعانٍ متقاربة يجمعها معنى واحد." والشواهد التى سيقت على هذا النوع تحدد أن معنى" لفظ "فى التعريف إنما هو العبارات والجمل.

ب- التوارد: ويتحقق ذلك " حين تضع أكثر من اسم للذات الواحدة والشىء الواحد، كأن تسمى الأسد بالسبع، والليث، والضرغام"، ونفهم من الأمثلة أن المتوارد عندهم يقابل" المترادف "عند غيره.

الترادف عند المحدثين :

آراء المحدثين لحق بها الخلاف مثلما حدث بين القدماء فى مسألة الترادف، وميز المحدثون بين الترادف التام) الكامل(، والترادف بمعنى التقارب فى المعنى أو أشباه الترادف.

أ- الترادف التام الكامل :Complete Synonymy: أكثر اللغويين المحدثين على إنكار هذا النوع، حيث "إن الثروة اللفظية للغةٍ ما تتمايز فى إطار الفروق الأكثر خصوصية ",ولو "كانت الكلمتان مترادفتين من جميع النواحى لما كان هناك سبب فى وجود الكلمتين معًا"، كما أن الاختلاف الصوتى يتبعه اختلاف دلالى، ويبين " J.Lyons أن هناك فروقًا دقيقة بين الكلمات التى يعتقد أن بينها ترادفًا تامًّا، ولكن قد يصعب ملاحظة هذه الاختلافات، إذْ إن معلومات الفرد منَّا عن اللغة بعيدة عن مجال الفحص الدقيق[1]. "

ب- الترادف بمعنى التقارب فى المعنى: **Near Synonym** وذلك بأن يتفق اللفظان فى كثير من الملامح الدلالية، لكن يختلف كل لفظ منهما عن الآخر فى ملمح دلالى مهم

[1]/ جون ليونز، اللغة وعلم اللغة، ص60.

أو أكثر، وهذا النوع من الترادف هو الشائع فى اللغة، ويوجد داخل ألفاظ المجال الدلالى، حيث تشترك ألفاظ المجال فى كثير من الملامح الدلالية التى تجمعها تحت معنى واحد، لكن تبقى فروق دقيقة أو ملامح دلالية خاصة ومهمة تميز بين كل كلمة وأخرى داخل المجال الدلالى.

ونجد أولمان بعد أن عرف المترادفات بأنها " ألفاظ متحدة المعنى وقابلة للتبادل فيما بينها فى أى سياق –"والترادف بهذا المعنى نادر الحدوث– يعترف بوجود الترادف بمعنى التقارب فى المعنى فيقول: "وبالجملة سوف يتبين لنا أن معظم المترادفات ليست إلا أنصاف أو أشباه مترادفات[1]. "

– أسباب الاختلاف فى مسألة الترادف :

يرجع الاختلاف فى مسألة الترادف إلى ثلاثة أسباب:

- ✓ الأول: عدم الاتفاق بين الدارسين على المقصود بالترادف.
- ✓ الثانى: اختلاف المناهج بين الدارسين والباحثين فى معالجة الترادف.
- ✓ الثالث: اختلاف المناهج فى تحديد معانى المفردات وتعريفها.

2– التضاد: Atonymy

هو "نوع من العلاقة بين المعانى، بل وربما كانت أقرب إلى الذهن من أية علاقة أخرى، فمجرد ذكر معنى من المعانى، يدعو ضد هذا المعنى إلى الذهن، ولاسيما بين الألوان؛ فذكر البياض يستحضر فى الذهن السواد، فعلاقة الضديَّة من أوضح الأشياء فى تداعى المعانى.

التضاد عند القدماء:

[1]/ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص123.

يقصد بالتضاد عند القدماء أن يطلق اللفظ على المعنى وضده، ومن أمثلة التضاد بهذا المفهوم: دلالة "الجون" على الأبيض والأسود، و"القُرء" للطُّهر والحيض، والنِّد: للمثل والضد، والزوج: للذكر والأنثى والسليم: للَّديغ والسليم.

واختلف اللغويون القدماء فى وقوع التضاد فى اللغة، فأنكره جماعة واجتهدوا فى تأويل أمثلته تأويلاً يخرجها من باب التضاد، وعلى رأس هؤلاء ابن درستويه) ت 347 :هـ (فقد ألف كتابًا أسماه: "فى إبطال الأضداد " ، أما المثبتون فهم أكثر أهل اللغة، ومنهم: الخليل، وسيبويه، وأبو زيد الأنصارى، وابن فارس، وابن سيدة، والثعالبى، والمبرد، والسيوطى . وبعضهم ألف فى الأضداد، مثل: قطرب، والأصمعى، وأبى حاتم السجستانى وابن السِّكِّيت الصَّنعانى، ابن الأنبارى... وغيرهم.

وتعرض اللغويون لأسباب نشأة التضاد، من اختلاف اللهجات، والمجاز والاستعارة، واشتمال الصيغة الصرفية على أكثر من معنى، وبعض العوامل الاجتماعية مثل: التهكُّم، التأدب، خوف الحسد ... إلخ[1].

التضاد عند المحدثين:

رغم أن التضاد بالمفهوم القديم موجود فى اللغة، إلا أنه لم يَحْظَ باهتمام ملحوظ من اللغويين المحدثين، اللهم إلا ما يأتى عرضًا عند بعضهم، مثل **Ullmann** :حين قال:" من المعروف أن المعانى المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنبًا إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أى إزعاج أو مضايقة[2]."

[1]/ أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، ص155.

[2]/ ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص 66.

وأخذ التضاد عند المحدثين مفهومًا مختلفًا للكلمة الواحدة عن المفهوم القديم فالتضاد عند المحدثين يعنى: " وجود لفظين يختلفان نطقًا ويتضادان معنًى" "والخاصية الأساسية لكلمتين بينهما تضاد أنهما يشتركان فى ملمح دلالى واحد وهناك ملمح دلالى لا يشتركان فيه، يكون موجودًا بإحداهما وغير موجود بالأخرى " [1] مثل: مذكر، مؤنث: يشتركان فى الجنس، ويختلفان فى النوع.

والتضاد بالمعنى الحديث هو الواقع بين ألفاظ المجال الدلالى، وميز اللغويون المحدثون التضاد إلى أنواع متباينة، فنجد J.Lyons يفرق بين التضاد الحاد ungradable مثل (حى– ميت)، (متزوج– أعزب)، والتضاد المتدرجgradable ، وهذا النوع من التضاد نسبى، مثل: (ساخن– بارد)، فإن هناك درجات من السخونة والبرودة متعددة تجعل التضاد نسبيًّا.

وهناك التضاد العكسى، الذى يظهر بين أزواج الكلمات مثل: باع– اشترى دفع– أخذ. وهناك التضاد الاتجاهى الخاص بالاتجاهات: أعلى– أسفل، فوق– تحت ... إلخ. وهناك أيضًا التضاد العمودى: شرق– غرب– شمال– جنوب ... إلخ.

3– علاقة الاشتمال (التعميم):

لا تقل هذه العلاقة أهمية عن علاقة الترادف والتضاد، وهى نوع من العلاقة بين الكلمات يمكن أن نطلق عليها " علاقة تَضَمُّن ." وعلاقة الاشتمال تتميز عن علاقة الترادف بخاصية هامة، وهى أن علاقة التضمُّن هى الاشتمال من طرف واحد، على خلاف علاقة التضمن فى الترادف فهى من الجانبين[2].

[1]/ المرجع السابق، ص 67.

[2]/ عبد الواحد حسن، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي، 89.

ومثاله العلاقة بين ألفاظ المجال الدلالى واللفظة العامة التى تجمع المجال كله لعموم معناها، فمثلاً هناك علاقة تضمن بين دعا- قال، حيث إن الدعاء يتضمن معنى القول :

قال: اللفظ الأعم.

دعا: اللفظ الفرعى.

4- علاقة التخصيص:

مثل علاقة اليد بالجسم، وهذه العلاقة نسبية، فاليد جزء والجسم كلٌّ بالنسبة لليد، بينما الأصبع جزء من اليد، واليد كل بالنسبة للأصبع.

5- التباين:

وهو "عدم التضمن من طرفين "وألفاظ القرابة توضح هذه العلاقة، نحو: "أب، أخ، أخت، عم، خال ...إلخ ."فمعانى هذه الألفاظ لا يتضمن أى منها لفظًا آخر. وعلى هذا فالعلاقة بين هذه الألفاظ علاقة تباين[1] .

[1]/ المرجع نفسه، ص 90.

المحاضرة الخامسة: وظائف اللغة.

توطئة:

تنقسم وظائف اللغة بشكل عام إلى قسمين:

القسم الأول هو الموضوعي، أي ما يتعلق باللغة ذاتها، كونها منظومة منسجمة من العلاقات الداخليّةٌ، التي لها وظائف عديدة تتم تأدِيتها، ويُعْتَمدُ دور وأهمية كل من هذه الوظائف على القدرات الموضوعيَّة للغة المعنية، أي على مستوى تطورها ونضجها، ولكلّ وظيفةٍ من هذه الوظائف الداخليّةٌ حدودُها وشروطُها، التي تأمن بدورها العلاقات المتينة التي تربط هذه الوظائف ببعضها بعضا لتجعل منها وحدة متكاملة، ومن أهم هذه الوظائف هي:

الوظيفة الصّوتيّة، الوظيفة الصرفية، الوظيفة المعجميّة، الوظيفة الدّلالية، الوظيفة البلاغيّة أو الأسلوبيّة. وهي بمجملها تتعلق بتطبيق أمور النطق والأسلوب والبلاغة وقواعد النحو والصرف والكتابة والقراءة وما إلى ذلك من أمور متداخلة لهذه أو تلك من اللغات، أي بحديث اللغة عن نفسِها أو الوصف اللغوي للغة ذاتها ولعلاقاتها الداخلية[1].

أما القسم الثاني، والمقصود هنا الجانب الذاتي، وهو ما يتعلق باللغة كونها منظومة متكاملة للتفاهم والتداول والتواصل بين البشر، ويشمل هذا الجانب الوظائف الاجتماعية للغة، باعتبارها أكبر وسيلة للتفاهم بين البشر على مرّ العصور، فهي ضيف لا يمكن الاستغناء عنه في كافة مجالات الحياة الاجتماعية سواء للفرد أم للمجتمع، وهي بهذا تقوم بتأدية سلسلة متداخلة ومتكاملة من الوظائف الاجتماعية الهامة وتشبع بذلك حاجيّات الفرد والمجتمع على السواء.

[1] محمود عكاشة، الدلالة اللفظية، ص50.

اهتم علماء اللغات والاجتماع والفلسفة ومنذ وقت مبكر بدراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها اللغة وتقديم النماذج المختلفة لكيفية تأدية هذه الوظائف، ولا زالت الأبحاث مستمرة في هذا المجال ومرافقة للتطورات العملاقة التي تجري في مختلف ميادين المعرفة ومنها في باب اللغات، وبالاعتماد على هذه الدراسات تم التوصل إلى وضع نموذج عام يتضمن مجموعة من الأسس التي يتوجب توفرها في أي نوع من أنواع الكلام المتعارف عليها والمستخدمة في اللغة مثل توجيه نداء أو الحديث الاعتيادي بين شخصين أو تقديم محاضرة أو إلقاء شعر أو القيام بإجراء مكالمة تلفونية وما شابه ذلك من أمور الكلام المختلفة[1]، وهذه الأسس هي:

1- الشخص المرْسِل، أي المتكلِم، الذي يريد إيصال رسالة إلى الآخرين.

2- الشخص المرْسَل إليه، أي المخاطب وربما الغائب، الذي يُراد إيصال الرسالة إليه.

3- الموضوع الذي يجري الحديث حوله.

4- القناة المعتمدة في إيصال الرسالة، كأن تكون مباشرة أو عن طريق الهاتف أو التلفاز أو ...الخ.

5- اللغة المستخدمة، هل هي لغة طبيعية كالعربية والإنكليزية والألمانية أم لغة الإشارات وغيرها

6- طريقة إيصال الخبر، أي الطريقة التي تُطْرَح بها اللغة، عن طريق استخدام أساليب لغوية مختلفة كالأمر والنهي والرجاء والنصح ... الخ.

7- نص الكلام المطروح، أي المادة اللغويَّة نفسها، كأن يكون نثر أو شعر أو غيرها من النصوص اللغويَّة المتعارف عليها.

---

[1] فريد عوض حيدر، فصول في علم الدلالة، ص83.

تختلف نوعية الوظيفة التي تقوم اللغة بإنجازها اعتمادا على أهمية ومكانة ودور هذا الجزء أو ذاك من الأجزاء المشار إليها أعلاه في مجمل النص اللغوي المستخدم أو في بعضٍ من أجزائه، وتنقسم الوحدات اللغوية المختلفة التي يصار إلى استخدامها في أي نوع من أنواع الكلام، ارتباطا بالنص المعْنِيّ، أو بالحدث المقصود، أو حتى في المكان أو الزمن المحدد، إمّا إلى إشارات من نوع الإيماءات أو التلويحات أو التنبيهات عن أو إلى أمور معينة، أو هي بمثابة رموز تعكس معاني محددة أو تكون عبارة عن إشارات تعبر عن ظواهر أو أعراض معينة

1/ مفـهوم الوظيفـة اللغويـة:

نعني بالوظيفة Functionذلك الدور الذي يؤديه عنصر لغوي ما داخل ملفوظ ما، أو داخل نص أو خطاب ما، مثل: الفونيم الصوت)، والكرافيم الوحدة الخطية)، والمورفيم المقطع الصرفي)، والمونيم الكلمة)، والمركبالعبارة)، والجملة، والصورة البلاغية، أو ذلك الدور الذي يؤديه العنصر السيميائي من رمز، وإشارة، وأيقون، وصورة، ومخطط داخل سياق تواصلي ما ...وهكذا، فالفاعل النحوي له داخل الجملة دور معين، ووظيفة نحوية، والفعل له وظيفة محددة، والمفعول به له وظيفة كذلك، والحروف والظروف لها وظائف معينة. بمعنى أن كل عنصر لغوي له وظيفة ما داخل وضعية تواصلية معينة. وقد تهيمن داخل جملة أو نص أو ملفوظ ما وظيفة محددة على باقي الوظائف الأخرى. وهنا، نتحدث – إذاً– عن الوظائف الأساسية والوظائف الثانوية. ومن ثم، فقد ارتبط الاهتمام بالوظيفة في إطار المدرسة اللسانية التشيكية براغ Prague)، والمدرسة اللسانية البنيوية الوظيفية، ومن أهم اللسانيين الوظيفيين، نستدعي: رومان جاكبسون Roman Jakobson)، وتروبتسكوي Nicolaï Troubetskoy)، وكارشفسكي Sergei

Karcevski)، وفندريس J.Vendrysès)، وبنيفنست E.Beneveniste)، وأندري مارتينيه A.Martinet)، وتانيير L.Tesnière)، وكوجينحايم G.Gougenheim)، وبرونL.Brun).[1]

2/ وظائف اللغة عند كارل بوهلر وكارل بوبر:

كان الاهتمام بوظائف اللغة في الثقافة الغربية منذ سنة 1918م، وذلك مع الباحث النفسي الألماني كارل بوهلرKarl Bühler)[3]، ثم تبعه في ذلك كارل بوبر Karl Popper) الذي أضاف سنة 1953م الوظيفة الرابعة إلى الوظائف الثلاث التي سطرها كارل بوهلر، وهي الوظيفة الحجاجية. وقد انطلق كارل بوهلر من التصور النفسي في رصد وظائف اللغة التي ترتبط بالشخص المتكلم في علاقته بمجتمعه وثقافته، وهذه الوظائف الثلاث، هي: الوظيفة التعبيرية الانفعالية المرتبطة بالمرسل، والوظيفة التأثيرية الانتباهية المرتبطة بالمخاطب، والوظيفة التمثيلية المرتبطة بالمرجع. وكانت هذه الوظائف معروفة بشكل من الأشكال لدى الفيلسوف اليوناني أفلاطون. وقد تمثل اللغوي رومان جاكبسون بعض هذه الوظائف في نموذجه التواصلي بطريقة من الطرائق.

3/ وظائف اللغة حسب مالينوفسكي:

قدم مالينوفسكي Malinowski) تصورا أنتروبولوجيا في دراسة النص الثقافي في علاقته بسياقه التكويني[4]، وضمن بيئته التي تحيط به، وكل ذلك من أجل تحصيل الدلالة والوظيفة. وهكذا، فقد قام مالينوفسكي بدراسة استكشافية في إحدى جزر المحيط الهادي، حيث مواطن الشعوب البدائية الغريبة، مثل: أهالي تروبرياند Trobriand)، وقد حاول مالينوفسكي التأقلم مع حياة هؤلاء، فتعلم لغتهم، ثم تمثل طريقة عيشهم؛ مما مكن ذلك

---

[1] عاطف مدكور، علم اللغة بين الترا والمعاصرة، ص 13.

الباحث من التعرف على لغتهم ووظائفها التواصلية. وهكذا، استطاع مالينوفسكي أن يبرز وظائف أخرى للغة التواصلية، من بينها: الوظيفة البراجماتية، والوظيفة السحرية، كما حدد وظائف ثانوية أخرى للغة تتعلق بالسرد والحدث.[1]

4/ وظائف اللغة عند بريتون:

ينطلق بريتون Britton) من التصور التربوي المتعلق بمجال التعليم، ليحدد ثلاثة أنواع من الوظائف، وهي أولا، الوظيفة التبادلية transactionnelle) التي تركز على تبادل الأحداث والأدوار، والتشديد على وظائف العلاقات بين مختلف المتحدثين. وثانيا، الوظيفة التعبيرية expressive). وثالثا، الوظيفة الشعرية poétique). والهدف من كل هذه الوظائف هو تثبت القدرات الكفائية لدى التلاميذ في الإنشاء الكتابي. لذا، فقد استدعى الباحث هذا النموذج الديداكتيكي النفسي لتقوية هذه الوظائف لدى المتعلم، وذلك في سياقها التعبيري والتواصلي.

5/ وظائف اللغة عند موريس:

ينطلق موريس Morris) من البعد المنطقي في تحديداته التصنيفية لوظائف اللغة[6]، وقد تحدث عن الإنسان على أنه من جنس الحيوان. ومن ثم، فقد تحدث عن الكلام التعبيري الذي يتعلق بالتعبير عن مختلف الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الوجدانية، وتحدث أيضا عن الكلام الإخباري الذي يتعلق بتبادل المعلومات والأخبار بين الأطراف المتكلمة، وأشار إلى الكلام الاستثماري أو الكلام الوظيفي الذي يتعلق باستثمار الكلام في ماهو جمالي ولعبي، وانتقل إلى الكلام التواصلي الذي يؤدي وظيفة حفاظية، ويعضد بنية التواصل بين الأطراف. ويشبه هذا التنظيم الوظائفي للكلام ما وضعه كارل بوهلر، وقد

[1] إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، ص 15/14.

تأثر رومان جاكبسون كذلك بهذا النموذج في الستينيات من القرن العشرين، وخاصة فيما يتعلق بالوظيفة الحفاظية المرتبطة بالقناة.[1]

6/ وظائف اللغة عند رومان جاكبسون:

يستند التواصل اللساني حسب **رومان جاكبسون Roman Jackobson**) إلى ستة عناصر أساسية[7]، وهي: المرسل، والمرسل إليه، والرسالة، والقناة، والمرجع، واللغة. وللتوضيح أكثر، نقول: يرسل المرسل رسالة إلى المرسل إليه، حيث تتضمن هذه الرسالة موضوعا أو مرجعا معينا، وتكتب هذه الرسالة بلغة يفهمها كل من المرسل والمتلقي. ولكل رسالة قناة حافظة، كالظرف بالنسبة للرسالة الورقية، والأسلاك الموصلة بالنسبة للهاتف والكهرباء، والأنابيب بالنسبة للماء، واللغة بالنسبة لمعاني النص الإبداعي... ويعني هذا أن اللغة ذات بعد لساني وظيفي، وأن لها ستة عناصر، وست وظائف: المرسل ووظيفته انفعالية، والمرسل إليه ووظيفته تأثيرية، والرسالة ووظيفتها جمالية، والمرجع ووظيفته مرجعية، والقناة ووظيفتها حفاظية، واللغة ووظيفتها وصفية وتفسيرية. ومن ثم، فإن الذي وضع هذا النموذج اللساني الوظيفي التواصلي هو الباحث الروسي ذي الجنسية الأمريكية **رومان جاكبسون**، وقد أثبته في كتابه:" **اللسانيات والشعرية**" سنة 1963م[2]، حيث انطلق من مسلمة جوهرية، وهي أن التواصل هو الوظيفة الأساسية للغة، وارتأى أن للغة ستة عناصر أساسية، ولكل عنصر وظيفة ما:

---

[1] المرجع نفسه، ص 41.

[2] صلاح الدين صالح حسنين، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن، ص 38/35.

– عناصر التواصل ووظائف اللغة–[1]

أرقام العناصر والوظائف	عناصر التواصل	مصدر التواصل	الوظيفة
1	المرسل	الرسالة	انفعالية
2	الرسالة	الرسالة	شعرية
3	المرسل إليه	الرسالة	تأثيرية
4	القناة	الرسالة	حفاظية
5	المرجع	الرسالة	مرجعية
6	اللغة	الرسالة	وصفية

وقد تأثر **جاكبسون** في هذه الخطاطة التواصلية بأعمال **فرديناند دوسوسيرFerdinand. De Saussure**، والفيلسوف المنطقي اللغوي **جون أوسطين John L. Austin**.

وعليه، فكثير من النصوص والخطابات والصور والمكالمات الهاتفية عبارة عن رسائل يرسلها المرسل إلى مرسل إليه، حيث يحول المتكلم رسالته إلى نسيج من الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الذاتية، ويستخدم في ذلك ضمير المتكلم. ومن ثم، يتخذ المرسل بعدا ذاتيا قوامه التعبيرية الانفعالية. بمعنى أن الوظيفة الانفعالية التعبيرية هي التي تحدد العلائق الموجودة بين المرسل والرسالة، وتحمل هذه الوظيفة في طياتها انفعالات ذاتية، وتتضمن قيما ومواقف عاطفية ومشاعر وإحساسات، يسقطها المتكلم على موضوع الرسالة المرجعي. أما المرسل إليه، فهو المخاطب الذي توجه إليه رسائل المتكلم بضمير المخاطب، بغية إقناعه أو التأثير عليه، أو إثارة انتباهه سلبا أو إيجابا. ومن هنا، فإن الوظيفة

[1] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص 25.

التأثيرية هي التي تقوم على تحديد العلاقات الموجودة بين المرسل والمتلقي، حيث يتم تحريض المتلقي، وإثارة انتباهه، وإيقاظه عبر الترغيب والترهيب، وهذه الوظيفة ذاتية بامتياز، مادمت قائمة على الإقناع والتأثير. إذاً، يتحول الخطاب اللفظي أو غير اللفظي إلى رسالة، وهذه الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه، فيساهمان في تحقيق التواصل المعرفي والجمالي، وهذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، ويؤولها بلغته الواصفة. وتتجسد هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية عن طريق إسقاط المحور الاستبدالي على المحور التأليفي، أو إسقاط محور الدلالة والمعجم على محور التركيب والنحو انزياحا أو معيارا. ويعني هذا أن الوظيفة الجمالية أو الشعرية هي التي تحدد العلائق الموجودة بين الرسالة وذاتها، وتتحقق هذه الوظيفة أثناء إسقاط المحور الاختياري على المحور التركيبي، وكذلك عندما يتحقق الانتهاك والانزياح المقصود بشكل من الأشكال.

كما تهدف الرسالة عبر وسيط القناة إلى الحفاظ على التكلم، وعدم انقطاعه: آلو....آلو...هل تسمعني جيدا؟....). أي: تهدف وظيفة القناة إلى تأكيد التواصل، واستمرارية الإبلاغ، وتثبيته أو إيقافه، والحفاظ على نبرة الحديث والكلام المتبادل بين الطرفين[1] .

زد على ذلك، فللغة وظيفة مرجعية، ترتكز على موضوع الرسالة باعتباره مرجعا وواقعا أساسيا، تعبر عنه تلك الرسالة. وهذه الوظيفة في الحقيقة موضوعية، لا وجود للذاتية فيها، نظرا لوجود الملاحظة الواقعية، والنقل الصحيح، والانعكاس المباشر.... وثمة وظيفة أخرى مرتبطة باللغة، وتسمى بالوظيفة الوصفية أو الوظيفة الميتالغوية القائمة على الشرح والوصف والتفسير والتأويل، وتهدف هذه الوظيفة إلى تفكيك الشفرة اللغوية، بعد

---

[1] المرجع السابق، ص 60.

تسنينها من قبل المرسل. والهدف من السنن هو وصف الرسالة لغويا، وتأويلها وشرحها وفهمها، مع الاستعانة بالمعجم أو القواعد اللغوية والنحوية المشتركة بين المتكلم والمرسل إليه.

ومن باب التنبيه، نحتكم، هنا، إلى القيمة المهيمنة La valeur dominante) كما حددها رومان جاكبسون،لأن نصا ما قد تغلب عليه وظيفة معينة دون أخرى، فكل الوظائف التي حددناها سالفا متمازجة، إذ قد نعاينها مختلطة بنسب متفاوتة في رسالة واحدة، حيث تكون الوظيفة الواحدة منها غالبة على الوظائف الأخرى حسب نمط الاتصال . ومن هنا، تهيمن الوظيفة الجمالية الشعرية على الشعر الغنائي. في حين، تهيمن الوظيفة التأثيرية على الخطبة، وتهيمن الوظيفة الميتالغوية على النقد الأدبي، وتغلب الوظيفة المرجعية على النصوص التاريخية، وتهيمن الوظيفة الانفعالية على النصوص الشعرية الرومانسية، وتغلب الوظيفة الحفاظية على المكالمات الهاتفية. [1]

7/ وظائف اللغة عند اللسانيين التداوليين:

ينطلق أركان وبوربو **Arcand et Bourbeau**) في كتابهما: "**التواصل الفعال، من المقصدية إلى وسائل التعبير**" 1995م) من مقاربة وظيفية تداولية مبنية على المقصدية، وليس الأساس عندهما هو القيمة المهيمنة، كما نجد ذلك واضحا عند رومان جاكبسون، بل المهم هو الوظيفة التداولية أو التواصلية. بمعنى أن السؤال ليس هو: ماهي الوظيفة المهيمنة في الإرسالية؟ بل السؤال المهم: لأي غرض استخدمت من أجله الإرسالية؟ ولأي هدف؟ وهنا، ينبغي تحديد المقاصد العامة والأساسية لكل مقطع تواصلي. ويميز الباحثان

[1] عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العامّ، ص 12.

بين الوظائف ذات المقاصد المباشرة، والوظائف ذات المقاصد غير المباشرة. كما يتحدثان أيضا عن وظائف السبب، ووظائف النتيجة، ووظائف الوسيلة، ووظائف الهدف.[1]

هذا، ويقترح اللسانيون التداوليون بما فيهم سيمون ديك وأحمد المتوكل، ضمن اللسانيات الوظيفية، مجموعة من الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية، ومن بين هذه الوظائف التداولية التي تم التركيز عليها عند سيمون ديك Simon Dik)، نذكر: وظيفة المبتدأ، ووظيفة الذيل، ووظيفة البؤرة، ووظيفة المحور. وأضاف الباحث المغربي أحمد المتوكل في كتابه:" **اللسانيات الوظيفية**" الوظيفة الخامسة[10]، وهي وظيفة المنادى. وتعد هذه الوظائف داخلية البؤرة- المحور) من جهة، ووظائف خارجية المبتدأ- الذيل- المنادى)[11] من جهة أخرى .

هذا، وقد حدد **هاليداي****Michael Halliday**) سنة 1973م سبع وظائف للغة الإنسانية[12]، وهذه الوظائف هي:

1- **الوظيفة الأداتية:** تستعمل اللغة لتحقيق الرغبات والحاجيات، وتحصيل المصالح والمنافع، مثل: " أنا أريد".
2- **الوظيفة التنظيمية:** تستعمل اللغة للتأثير على سلوك الغير، وتعديله سلبا أو إيجابا، مثل: " افعل ما أقوله لك**!**".
3- **الوظيفة التفاعلية:** تستعمل اللغة من أجل الدخول في علاقة مع المحيط، مثل: " أنا وأنت".
4- **الوظيفة الشخصية:** تسمح اللغة لصاحبها من التعبير عن انفعالاته الشعورية واللاشعورية، والتعبير عن أحاسيسه ومشاعره الوجدانية والفردية، وتبيان ذوقه الشخصي، وخصوصياته الذاتية، مثل: " أنا-ها أنذا- إنه أنا..."

[1] آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 10.

5- **الوظيفة الخيالية**: تساهم اللغة في بناء عوالم خيالية ممكنة، واستثمار اللغة في التخييل، وبناء التصورات الافتراضية والإبداعية، مثل:" تخيل أنه سيكون مثل هذا...- يمكن القول..."

6- **الوظيفة الاستكشافية**: تسمح اللغة بطرح الأسئلة والإشكاليات الاستكشافية والتوقعية من أجل بناء المعرفة، وتحصيل المعارف والعلوم، مثل: " لماذا هذا؟"

7- **الوظيفة الإعلامية أو الإخبارية**: تسمح بنقل المعلومات المختلفة، وتبليغها إلى الآخر، مثل: " يجب أن أقول لك..."[1]

وبعد ذلك، ينتقل هاليداي على غرار الإبستمولوجي التكويني جان بياجيه **Jean Piajet**) للتعامل مع الطفل لغويا، من خلال تحديد ثلاث مراحل أساسية يمر بها الطفل في أثناء اكتسابه للغة، وهذه المراحل هي:

1- يكون الطفل، وذلك في المرحلة الأولى التي تمتد من الشهر الأول إلى الشهر الخامس عشر، متحكما في مجمل الوظائف الأساسية الخارجية عن مجال اللغة، فالمستوى الصوتي لا يتوافق مع المستوى الدلالي، والكلمات لا تتبين بشكل واضح.

2- تعد المرحلة الثانية، التي تمتد من الشهر السادس عشر إلى الشهر الثاني والعشرين، مرحلة تحول وانتقال نحو استعمال اللغة، كما يستعملها البالغون. وهنا، تقوم اللغة بأدوارها الوظيفية المتنوعة المستويات في شكل وظائف كبرى مؤثرة.

3- تشبه لغة الطفل لغة البالغ، وذلك في المرحلة الثالثة التي تمتد من الشهر الثاني والعشرين إلى سن البلوغ، وتظهر في هذه المرحلة ذاتها ثلاث وظائف جديدة: الوظيفة التفكيرية(fonction d'idéation)، والوظيفة العلائقية الشخصية la function interpersonnelle)، والوظيفة النصية la function de texture).[2]

[1] أحمد المتوكل، وظائف اللغة، ص 45.

[2] إبراهيم خليل، مدخل إلى علم اللغة، ص 30.

ويعني هذا أن ثمة ثلاث وظائف لغوية كبرى، وهي: وظيفة التفكير القريبة من وظيفة التمثيل والمعرفة، وتسمح بتكوين فكرة حول الذات والمحيط، وذلك من خلال بلورة مجموعة من التجارب الذاتية والموضوعية، وتتخذ هذه الوظيفة صيغة منطقية. ومن ثم، تنقل لنا جمل هذه الوظيفة معظم تجارب الذات في شكل أحداث وعلاقات وحالات وظروف وأشياء... والوظيفة العلائقية التي تتحكم في مجل الوظائف التأثيرية والانفعالية والتعبيرية، وتساهم في تكوين الآراء. بمعنى أن هذه الوظيفة قائمة على استحضار المرسل والمرسل إليه، ورصد مختلف العلاقات الشخصية الموجودة بينهما، وتبيان صيغ التعبير كالأمر، والنداء، والرجاء، والالتماس.... أما الوظيفة الثالثة، وهي الوظيفة النصية، فتحيل على إنتاج النص بواسطة مجموعة من الروابط والوسائل اللغوية، بغية تحقيق اتساق النص، وتماسكه، وانسجامه.

8/ وظائف اللغة من خلال المنظور الفلسفي:

يذهب مجموعة من اللسانيين إلى أن اللغة وظيفتها التواصل، كما هو حال فرديناند دو سوسير الذي يرى في كتابه: " **محاضرات في اللسانيات العامة**" 1916) أن اللغة نسق من العلامات والإشارات، هدفها التواصل، حينما يتحد الدال مع المدلول بنيويا وعضويا، أو حين تتقاطع الصورة السمعية الدال) مع المفهوم الذهني المدلول). وهو المفهوم نفسه الذي كان يرمي إليه تقريبا ابن جني في كتابه " **الخصائص**" عندما عرف اللغة بأنها: " أصوات يعبر بها قوم عن أغراضهم"[1] ويعرف أندري مارتيني André Martinet اللغة بأنها عبارة عن تمفصل مزدوج، وظيفته التواصل. ويعني هذا أنه يمكن تقسيم اللغة إلى تمفصلين: تمفصل أول، وهو المونيمات الكلمات)، وتنقسم المونيمات بدورها إلى تمفصل ثان، وهو الفونيمات أصوات) والمورفيمات مقاطع صرفية). ولكن لا يمكن تقسيم

---

[1] ابن جني، الخصائص، ص300.

الأصوات إلى وحدات لغوية أخرى؛ لأن الصوت أصغر وحدة جزئية لا تتجزأ، وعندها تنتهي الكلمة. وإذا جمعنا الفونيمات بعضها ببعض، كونا بذلك مونيمات. وإذا جمعنا الكلمات مع بعضها البعض، كونا جملا. وإذا جمعنا الجمل بين بعضها البعض، كونا الفقرات والمتواليات. وتكون الفقرات بدورها ما يسمى النص اتساقا وانسجاما. وتبعا لذلك، يكون النص- من خلال عمليات التأليف والاستبدال- ما يسمى باللغة. ومن ثم، فمن أهم أهدافها الأساسية والبارزة وظيفة التواصل.[1]

وعلى أي حال، إذا كان الوظيفيون يرون أن اللغة واضحة، تؤدي وظيفة التواصل الشفاف بين المتكلم والمستمع، فإن أزوالد دوكرو Oswald Ducrot)يرى أن اللغة ليست دائما لغة تواصل واضح وشفاف، بل هي لغة إضمار وغموض وإخفاء. ويعني هذا أن الفرد قد يوظف اللغة كلعبة اجتماعية للتمويه، والتخفية، وإضمار النوايا والمقاصد. وقد يكون هذا الإضمار اللغوي ناتجا عن أسباب دينية، وسياسية، واجتماعية، واقتصادية، ونفسية، وأخلاقية. فمثلا، لا يستعمل مهرب المخدرات اسم مهرباته بطريقة مباشرة، بل يستعمل الرموز للإخفاء، كأن يقول لصديقه: هل وصلت الحناء؟ كما يستعمل أسلوب الأمر في الشريعة الإسلامية للوجوب، والدعاء، والندب، وهذا يعني أن اللغة فيها أوجه دلالية عدة؛ مما يزيد من غموضها، وعدم شفافيتها التواصلية.[2]

ومن جهة أخرى، يذهب رولان بارت Roland Barthes) بعيدا في تعامله مع وظيفة اللغة، حينما يعتبر اللغة بعيدة كل البعد عن التواصل، ويجعلها لغة سلطة، ومصدرها السلطة. ويعني هذا أن الإنسان عبد للغة، ومتحرر منها في الوقت نفسه. فعندما يتحدث

[1] أحمد مومن، اللسانيات العامة النشأة التطور، 52.

[2] ترنس هوكس، مدخل إلى السيمياء، مجلة بيت الحكمة، المغرب، ع5، السنة الثانية، 1987، ص120.

المتكلم لغة أجنبية، فهو خاضع لقواعدها وتراكيبها، وخاضع أيضا لمنظومتها الثقافية والحضارية والقيمية. وفي الوقت نفسه، يشغل هذه اللغة كيفما يشاء، ويطوعها جماليا وفنيا. وللتمثيل، فلقد تحكمت اللغة الفرنسية كثيرا في الشعب الجزائري لمدة طويلة؛ مما أخضعته لقواعدها التركيبية، وسننها اللساني والثقافي والكينوني. وعلى الرغم من ذلك، فإننا نجد مجموعة من الأدباء الجزائريين، بقدر ما هم خاضعون لهذه اللغة الأجنبية، يتخذونها سلاحا لهم بكل حرية للتنديد بالاستعمار الفرنسي، ونقده نقدا شنيعا، والهجوم عليه بشكل عنيف ومقرع، عن طريق تطويع تلك اللغة لخدمة الذات الجزائرية بشكل من الأشكال، وخدمة مصالحها المحلية والوطنية والقومية.

ومن جهة أخرى، فقد تلتجئ السلطة الحاكمة إلى فرض اللغة التي تناسبها، من أجل تثبيت سيطرتها السياسية، وتقوية منظومتها الإيديولوجية، وتعضيد مصالحها الاقتصادية، إذ تفرض كل طبقة حاكمة لغتها بالقوة والاقتصاد، كما أن اللغة هي التي تمنح الفئة الحاكمة السلطة السياسية، ثم تقويها بالشرعية القانونية والدينية.

وهكذا، نستنتج بأن اللغة قد تكون أداة للتواصل الشفاف، كما يمكنها أن تكون لغة للإضمار والتمويه والإخفاء، كما يمكن أن تكون أداة للسلطة من جهة، وتكون سلطة قمعية فعلية من جهة أخرى.

9/ ترنس هوكس والوظيفة البصرية أو الأيقونية:

هناك من الدارسين والباحثين، ولاسيما السيميائيين منهم، من يزيد الوظيفة السابعة إلى الخطاب اللساني، وهي الوظيفة الأيقونية[18]، وذلك بعد ظهور كتابات **جاك دريدا** (J . Derrida) الاختلافية القائمة على أهمية الكتابة بالمقارنة مع الدال الصوتي، وانبثاق السيميوطيقا التواصلية والبصرية.

وتسمى هذه الوظيفة السابعة بالوظيفة البصرية أو الأيقونية، كما نجد ذلك جليا في تصورات ترنس هاوكس[19] النظرية. وتهدف هذه الوظيفة إلى تفسير دلالة الأشكال البصرية والألوان والخطوط الأيقونية، وذلك بغية البحث عن المماثلة أو المشابهة بين العلامات البصرية ومرجعها الإحالي. بمعنى أن جميع المنتجات البصرية والأيقونية والصور التشكيلية تحمل في طياتها وظيفة بصرية أو كاليغرافية أو أيقونية بشكل من الأشكال. [1]

10/ وظائف اللغة حسب لويس هيبير:

ثمة وظائف لغوية أخرى يشير إليها لويس هيبير **Louis Hébert**) في مقاله: "**وظائف اللغة**"، ونستحضر من بين هذه الوظائف: الوظيفة المعرفية، والوظيفة التمثيلية، والوظيفة التعيينية، والوظيفية الإخبارية أو الإعلامية، والوظيفة التعبيرية، والوظيفة الأمرية، والوظيفة العلائقية، والوظيفة الاتصالية، والوظيفة الميتاسيميائية، والوظيفة الإستيطيقية، والوظيفة البلاغية.

11/ وظائف السارد حسب جيرار جنيت:

لم يهتم جيرار جنيت **GENETTE**) بوظائف اللغة، ولكنه اهتم بوظائف السارد على مستوى الخطاب السردي، وذلك في كتابه:" **صور 3**" وقد حصر وظائف السارد في خمس وظائف محورية، وهي الوظيفة السردية، وظيفة التنسيق القائمة على توزيع الأدوار الحكائية بين السراد والشخصيات من جهة، وتنظيم السرد والحوار من جهة أخرى، والوظيفة الإبلاغية أو التواصلية التي تتحقق من خلال تواصل الراوي والمروي له، والوظيفة الإشهادية التي تتمثل في نقل الواقع بصدق وأمانة وحرفية واقعية. بمعنى أن السارد يقدم – هنا– شهادة صادقة وأمينة حول الواقع، وذلك ضمن ما يسمى بنظرية الإيهام بالواقعية،

[1] المرجع السابق، ص 122.

والوظيفة الإيديولوجية التي تتمثل في تقديم رسالة تعليمية ما، أو الدفاع عن أطروحة إيديولوجية ما.

ومن ناحية أخرى، فقد حدد جيرار جنيت أربع وظائف للعنوان في كتابه:" **العتبات/ Seuils**"، باعتباره نصا موازيا مرافقا، أو عتبة أساسية تحيط بالنص خارجيا وداخليا، وهذه الوظائف الأربع هي: الإغراء، والإيحاء، والوصف، والتعيين[1].

12/ عبد الله الغذامي والوظيفة النسقية:

يرى الناقد السعودي عبد الله الغذامي في كتابه:" **النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية** " أنه لابد من ربط النقد الثقافي بالنسقية، فإذا كان رومان جاكبسون قد حدد ست وظائف لستة عناصر: الوظيفة الجمالية للرسالة، والوظيفة الانفعالية للمرسل، والوظيفة التأثيرية للمتلقي، والوظيفة المرجعية للمرجع، والوظيفة الحفاظية للقناة، والوظيفة الوصفية للغة. فقد حان الوقت لإضافة الوظيفة النسقية للعنصر النسقي[2]. بمعنى أن النقد الثقافي يهتم بالمضمر في النصوص والخطابات الرسمية وغير الرسمية، ويستقصي اللاوعي النصي، وينتقل دلاليا من الدلالات الحرفية والتضمينية إلى الدلالات النسقية. ويعني كل هذا أن النقد الثقافي يستند إلى ثلاث دلالات: الدلالة المباشرة الحرفية، والدلالة الإيحائية المجازية الرمزية، والدلالة النسقية الثقافية. و" إذا قبلنا – يقول عبد الله الغذامي- بإضافة عنصر سابع إلى عناصر الرسالة الستة، وسميناه بالعنصر النسقي، فهو سيصبح المولد للدلالة النسقية، وحاجتنا إلى الدلالة النسقية هي لب القضية، إذ إن ما نعهده من دلالات لغوية لم تعد كافية لكشف كل ماتخبئه اللغة من مخزون دلالي، ولدينا الدلالة الصريحة التي هي

[1] ترنز هوكس، البنيوية وعلم الإشارة، ص114.

[2] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية، ص24.

الدلالة المعهودة في التداول اللغوي، وفي الأدب وصل النقد إلى مفهوم الدلالة الضمنية، فيما نحن هنا نقول بنوع مختلف من الدلالة هي الدلالة النسقية، وستكون نوعا ثالثا يضاف إلى الدلالات تلك. والدلالة النسقية هي قيمة نحوية ونصوصية مخبوءة في المضمر النصي في الخطاب اللغوي. ونحن نسلم بوجود الدلالتين الصريحة والضمنية، وكونهما ضمن حدود الوعي المباشر، كما في الصريحة، أو الوعي النقدي، كما في الضمنية، أما الدلالة النسقية فهي في المضمر، وليست في الوعي، وتحتاج إلى أدوات نقدية مدققة تأخذ بمبدإ النقد الثقافي لكي تكتشفها، ولكي تكتمل منظومة النظر والإجراء."[1]

وما يهمنا في هذه الدلالات الثلاث هي الدلالة الثقافية الرمزية التي تكتشف على مستوى الباطن والمضمر، فتصبح أهم من الدلالتين السابقتين: الحرفية والجمالية.

وهكذا، نجد أن عبد الله الغذامي يضيف الوظيفة السابعة إلى النظام التواصلى الموجود عند رومان جاكبسون، وهي الوظيفة النسقية الخاصة بعنصر النسق الثقافي، بينما هناك من السيميائيين من يضيف الوظيفة الأيقونية إلى هذا النظام التواصلي الجاكبسوني.

خلاصة تركيبية:

وخلاصة القول: يتبين لنا، مما سبق ذكره، بأن اللغة عبارة عن نظام من العلامات والرموز والإشارات والأيقونات، وظيفتها البارزة هي التواصل. وقد تأكد لنا، بكل وضوح وجلاء، بأن الحديث عن وظائف اللغة وصفا وتصنيفا وتنميطا، قد بدأ في الحقيقة في أحضان مدرسة براغ والمدرسة اللسانية البنيوية الوظيفية على حد سواء، وتوسع هذا الاهتمام مع المدارس اللسانية الأخرى كالتوليدية التحويلية والتداوليات الوظيفية. ومن ثم، يمكن الحديث عن مجموعة من المنظورات والنظريات التي اهتمت بشكل من الأشكال

[1] المرجع السابق، ص25.

بوظائف اللغة، كالمنظور الفلسفي، والمنظور اللساني، والمنظور السيميائي، والمنظور النفسي، والمنظور التداولي، والمنظور السردي، والمنظور الإعلامي، والمنظور التواصلي، والمنظور التربوي، والمنظور الثقافي، والمنظور الأنتروبولوجي.

المحاضرة السادسة: الضمائر والدلالة.

1/ تعريف الضمير:

الضمير هو اسم يُستعاض به للدلالة على اسم آخر، وذلك للاختصار وتجميل الكلام بمنع التكرار. والضمائر متصلة ومنفصلة ومستترة- وسيرد ذلك لاحقاً- لكن عند الحاجة إلى استخدام الضمير فإن الغالب هو اختيار الضمير المتصل، وفيما بعد توضيح لذلك.

2/ أنواع الضمائر: تُقسم الضمائر إلى عدّة أقسام، بيانها فيما يأتي[1]:

- **من حيث دلالتها**: تُقسَم إلى ضمائر متكلم، أو مخاطب،أو غائب، وأمثلة ذلك على الترتيب:
- **ضمائر المتكلم** :أنا: للمتكلم المفرد والمفردة، مثل: أنا مسافر، وياء المتكلم المتصلة، مثل: كتابي .نحن: للمتكلمين والمتكلمات، مثل: نحن مسافرات، ونا: المتكلمين المتصلة مثل: كتابنا
- **ضمائر المُخاطَب** :أنتَ: للمذكر المخاطب، والتاء المتصلة، مثل: درستَ .أنتِ: للمؤنث المخاطَبة، والتاء المتصلة مثل: درستِ .أنتما: للمخاطَبَين والمخاطبتَين، والتاء المتصلة مثل: درستما .أنتم: للجمع المخاطبين، والتاء المتصلة مثل: درستم .أنتنّ: للجمع المخاطبات، والتاء المتصلة مثل: درستُنّ.
- **ضمائر الغائب** :هو: للغائب المفرد مثل: هو مسافر، والهاء المتصلة مثل: أُخبره .هي: للغائبة المفردة مثل: هي مسافرة، والهاء المتصلة مثل :أخبرها .هما: للغائبَين والغائبَتين

[1] مراد كامل، دلالة الألفاظ العربية وتطورها، ص200.

مثل: هما مسافرتان، والهاء المتصلة مثل: أخبرهما.**هم للجمع الغائبين، مثل: هم مسافرون، والهاء المتصلة مثل :أخبرهم .هنَّ: للجمع الغائبات مثل: هنَّ مسافرات، والهاء المتصلة مثل :أخبرُهُنَّ.

- **من حيث ظهورها أو استتارها**: الضمير الظاهر البارز هو ما يظهر ويُنطق به كالضمائر المنفصلة والمتصلة، أما الضمير المستتر فهو ما لا يظهر ولا يُنطق به وإنما يُضمَر في الذهن، مثل: قول: خذْ كتابك. فالفاعل هنا غير ظاهر وتقدير الكلام خذْ أنت، والضمائر المستترة مقدرة بما يأتي: ضمير المتكلم (أنا): كالقول (أقرأ كل يوم .(ضمير المتكلمين (نحن): كالقول (نقرأ كل يوم .(ضمير المخاطَب (أنتَ): كالقول (ادرسْ تنجح .(ضمير الغائب (هو): كالقول (محمد خرج ولم يعُد بعد .(ضمير الغائبة (هي): كالقول (هند تقرأ كل يوم).
- **من حيث انفصالها أو اتصالها**: الضمائر المنفصلة ما جاءت كلمة وحدها غير متصلة بكلمة غيرها، كضمائر المتكلم والمخاطَب والغائب، وأمثلة ذلك بالترتيب: أنا، إياي: للدلالة على المتكلم أو المتكلمة، مثل: إيايَ قصد المدير .نحن، إيانا: للدلالة على المتكلمين، مثل: إيانا يُكلّم الرجل .أنتَ، إياكَ: للدلالة على المخاطَب، مثل: إياك نعبد .أنتِ، إياكِ: للدلالة على المخاطَبة، مثل: إياكِ أحدّث.**أنتما، إياكما للدلالة على المخاطبَين أو المخاطبتَين، مثل: إياكما أعني .أنتم، إياكم: للدلالة على الجمع المذكر، مثل: إياكم أكلّم.**أنتنّ، إياكنّ للدلالة على الجمع المؤنث، مثل: إياكنّ أعلّم .هو، إياه: للدلالة على الغائب، مثل: إياه أقصد .هي، إياها: للدلالة على الغائبة، مثل: إياها أقصد .هما، إياهما: للدلالة على الغائبَين المذكرَين أو المؤنثَين، مثل : إياهما أقصد .هم، إياهم: للدلالة على الجمع المذكر، مثل: إياهم أقصد .هنّ، إياهنّ:

للدلالة على الجمع المؤنث، مثل: إياهنّ أقصد، أما الضمائر المتصلة فهي ما اتصلت بالكلمة اسماً كانت أو فعلاً أو حرفاً، مثل :ياءِ المتكلم وكاف المخاطب وهاء الغائبة المتصلة بالكلمات على الترتيب مثل :أخبرني، جهازك، ولها [1] .

3/ حالات اختيار الضمير المنفصل أو المتصل:

هناك حالات توجب الإتيان بالضمير المنفصل وليس المتصل، هي:

- الضرورة الشعرية: يأتي بعض الشعراء بالضمير منفصلاً بدلاً من المتصل ليستقيم وزن البيت أو القافية، كالإتيان بالضمير المنفصل (هم) في قول الشاعر:

وما أُصاحب من قوم فأذكرهم*** إلا يزيدهم حبّاً إلي همُ.

- أسباب بلاغية: كحصر المعنى وقصره مثل: الضمير المنفصل (إياك) في قول الله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وفي مثل: هذا الحالة مثلاً لا يُقال نعبدك، ولا يُقدَّم ضمير الكاف وحده في نعبدك لأن العبادة والاستعانة محصورة لله تعالى ومقتصرة عليه، ومثله أيضاً: ما مخلصٌ إلا أنتَ.
- حذف فعله وفاعله (ويُسمّى العامل) مثل: إيّاك والغشّ، فأصل العبارة :أحذّرك، فحُذِف الفعل وفاعله وبقي ضمير الكاف فأُتِي بضمير منفصل هو)إياك(، ومثل: أنت عاملٌ نشيط، وأنت محصور للابتداء به، ولا يمكن جعله متصلاً.
- دخول حرف نفي عليه: مثل: ما أنتَ صبوراً كما يجب، وما هنا حجازية بمعنى ليس لذلك نُصِبت كلمة صبور.
- أن يكون الضمير تابعاً لكلمة تفصل بينه وبين عامله: مثل: نقدّر المعلمَ وإياكم، فقد عُطِفت إياكم على المعلم.

[1] محمد علي خولي، علم الدلالة(علم المعنى)، ص 23.

- إذا وقع الضمير بعد واو المعيّة (بمعنى المصاحَبة) مثل: سأخرج وإياكم.
- أن يكون فاعلاً لمصدر مضاف إلى مفعوله: مثل: بمساعدتك أنا فزتَ، وأصل الكلام ومعناه: بمساعدتي إياك، أي فزتَ بسبب المساعدة التي قدّمتها أنا لك، وهنا جاء المفعول به (ضمير الكاف) بين الضمير الفاعل (أنا) والمصدر مساعدة.
- أن يكون مفعولاً به لمصدر مضاف إلى فاعله: مثل: فرحتُ لاحترامِ الضيوف إيّاك.
- أن يأتي بعد إما المفصّلة، مثل: حضر إما هو وإما أنتَ.
- أن يأتي بعد اللام الفارقة: وتأتي اللام الفارقة بعد إنْ مثل: إنْ وجدتُ الصديق حقّاً لإيّاك، فمُرْني، فلن أزال مطيعاً .
- أن يأتي مُنادى: وذلك عند مَن يجيزون النداء على الضمير، مثل: يا أنتَ.
- أن يأتي الضمير منصوباً وقبله ضمير نصب: ويجب أن يكون الناصب لهما واحد ورتبة الضميرين واحدة مثل: حدّثته إياه.
- أن يأتي الضمير مرفوعاً بمشتق جار على غير من هو له: ومثال ذلك سارةُ هندٌ مكرمتُها هي، والضمير هي مرفوع لعامل المشتق (مكرم).[1]

[1] علي الجارم، النحو الواضح في قواعد اللغة العربية، ص202.

المحاضرة السابعة: المعارف المعجمية في الذهن البشري

من أهم ركائز المعرفة هي اتحاد الذات بالموضوع، فالذات هي الوعي أو الفكر الذي يربطنا بالوجود، والموضوع هو كل شيء في الطبيعة خارج الذات الإنسانية ويكون مدركاً إما بالحواس، أو التجربة. فانصرف الكثير من الفلاسفة لدراسة الذات وعلاقتها بالموضوع، ومنهم الفلاسفة العقلانيون والتجريبيون الأوائل؛ أمثال فرنسيس بيكون، وجون لوك، وظل العقل بالنسبة لهؤلاء الفلاسفة هو محور الاهتمام والماهية .

كان رينيه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة، يعتبر أن العقل المجرد، يتضمن أفكاراً فطرية تمكننا من الوصول إلى الحقيقة عن طريق مجموعة من الخطوات منها الحدس والاستنباط والتحليل والبرهان، وهي خطوات علمية تستخدم في المنهج الرياضي. أما جون لوك فرفض هذا المبدأ واعتبر أن مصدر المعرفة هو التجربة والحواس، والعقل عبارة عن لوحة فارغة نخط عليها تجاربنا وأفكارنا، وقد قسم لوك الأفكار إلى نوعين: الأفكار البسيطة والأفكار المركبة.

الأفكار البسيطة التي تأتينا بشكل مباشر من الأشياء وندركها بالحس، مثل الألوان أو المذاق الحلو، والمر، والأفكار التي تتكون بالحدس الباطني مثل الشعور بالخوف، والألم، والسعادة ..الخ، وذهب لوك أن جميع الأشياء تشترك في صفات عمومية مثل الشكل والصلابة والامتداد. فأفكار جون لوك عن الحس والتجربة، ستكون لاحقاً مفتاحاً لديفيد هيوم وفلسفته التي اختصت بالأفكار والذهن البشري[1].

[1] مصطفى بوعناني وبنعيسى زغبوش و إسماعيل لوي، المعجم الذهني واللغة العربية، ص36.

1/ خريطة الذهن ومحدودية المعرفة البشرية

يعتبر ديفيد هيوم (1711-1776) شيخ التجريبيين والشكاكين، الذي قوض الفلسفة الغربية في عصر الأنوار، وأطاح بالعقل من عرشه المقدس، وهو بذلك وجه ضربة قاصمة للمثاليين والماديين. فاختصت فلسفة هيوم في تفكيك ونقد الذهن البشري، وكانت هذه هي العتبة التي انطلق منها الفيلسوف الألماني كانط في نقده للعقل المحض، وهو القائل بأن ديفيد هيوم أنقذه من سباته الدوغماطيقي.

فلسفة هيوم تعتبر آلية تجريبية، تدرس الإنسان كمجموعة من الأجهزة والوظائف، فهي تسلخ الإنسان من كل عاطفة مقدسة ومن كل فكر خلاق يسمو به، وهي غير مسؤولة عن إيجاد حلول لمعضلته الوجودية[1]

المعرفة عند هيوم كما تبدو خالصة للوجدان من دون أي إضافة عقلية هي عبارة عن مدركات حسية، وبالاعتماد على المبدأ الحسي فإن هذه المدركات الحسية تنقسم إلى قسمين:

1- الانطباعات وهي انفعالات الحواس الظاهرة التي نكونها أول مرة مثل الإحساس باللذة أو الألم أو الخوف.

2- والأفكار وهي نسخ باهتة لهذه الانطباعات ومركزها في الذاكرة، وتقوم باستحضار الانطباعات بطريقة ضعيفة وتحدث نتيجة لها انفعالات التفكير كالمحبة والكراهية والرجاء. ويذهب هيوم إلى أن لكل فكرة في الذهن البشري انطباعا حسيا أوليّا صدرت عنه، وانطباعات التفكير الثانوية التي تنشأ نتيجة لأفكارنا. والأفكار

[1] بوعناني مصطفى، المعجم الذهني في إنجاز اللغة وإدراكها المعالجة المعجمية وتحت المعجمية للوحدات اللغوية، مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، مج7، ع28، الكويت، 2006، ص 58/43.

نوعان: بسيطة ومركبة، فالأفكار البسيطة نسخ عن الانطباعات البسيطة، والأفكار المركبة مزيج من عناصر للأفكار البسيطة الناتجة عن الانطباعات الأولى التي نشأت منها. ففكرتي مثلا عن اللون الأحمر منشؤها عن الانطباع الأول الذي صدرت منه. وفكرتي عن أن مذاق الليمون حامض صدرت عن انطباعي الأول عند تذوق الليمون. أي إن العالم عند هيوم عبارة عن حسّ وتجربة تتحول إلى انطباع، ثم تستقر كفكرة في الذهن وهي التي توجه سلوكنا وانفعالاتنا في الحياة. مثلا الأعمى لا يستطيع أن يكون فكرة عن الضوء أو اللون، مهما حاولنا شرحه وإفهامه، وكذلك بالنسبة لإنسان ولد بلا حاسة سمع، من العسير أن تشرح له خصائص الصوت أو صفاته[1].

لو فرضنا أن كل فكرة منشؤها انطباع حسي كما يرى هيوم، ماذا بشأن الأفكار التي لا تستمد من تجربة أو حس كأن نقول مثلاً هناك جبل من ذهب أو حصان طائر.

يرى هيوم أن الأفكار التي تركبها المخيلة هي في الأساس أفكار بسيطة ناتجة عن انطباعات أولية فهذه الأفكار تستعيدها الذاكرة وتركبها المخيلة، فكل فكرة تركبها المخيلة لها عناصر واقعية وحسية في الذهن، فمثلاً فكرتي عن جبل من ذهب هي ناتج فكرتين مركبتين من جبل + ذهب. أي أننا على أرض الواقع والحس كانت هناك انطباعات وأفكار بسيطة.

إذا فرضنا أن الفكرة المتخيلة= ج، فهي حصيلة أ+ب ...حيث كل من(أ وب) يتحدان في علاقة مركبة تؤدي إلى الفكرة ج. فالعقل البشري مدفوع غريزياً لتركيب العالم بصور منتظمة ونسبية من أفكار بسيطة ومجردة.

1

2/ تداعي الأفكار:

يرى هيوم أن الأفكار في الذهن تتداعى، وتستدعي بعضها البعض في علاقات تشابهية وتجاورية وسببية، فطريقة عمل العقل عند هيوم تجري طبقاً لشروط لا نشعر بها، لكننا نقر بها بعد فترة طويلة من الممارسة.

1- التشابه: إن كل فكرة تستدعي فكرة أخرى تشبهها، ويمكن أن تكون سلسلة من الأفكار، مثلاً عند رؤيتي لشخص يشبه صديقاً عزيزاً قد توفى منذ مدة طويلة، فأنا أتذكر الشخص، وأتذكر تفاصيل الأحاديث التي كنا نخوض بها، والأمكنة التي زرناها...الخ.

2- التجاور في الزمان والمكان: إذا استحضرت كل فكرة قرينتها المشابهة لها، فإنها تستدعي الزمان أيضا معها فعند تذكري صديقي المتوفي، أتذكر مثلاً الزمن الذي وقعت فيه الحرب، وبالتالي استحضار فكرة باهتة عن الألم ناشئة عن الانطباع الأول للزمن الذي توفى به صديقي، والذي وقعت فيه الحرب[1]".

لا وجود للأنا أو الهوية الشخصية عند الفرد

"التعود إذن المرشد الأكبر للحياة البشرية، إنه المبدأ الذي يجعل الخبرة ذات نفع لنا، وهو الذي يجعلنا نتوقع في المستقبل سلسلة من الحوادث المشابهة لتلك التي ظهرت في الماضي".

تعتبر فكرة السببية واحدة من أهم الأفكار المحورية التي تطرق لها هيوم في كتابه "رسالة في الطبيعة البشرية". فالسببية هي التي تنظم حياتنا واتصالنا مع الواقع وتمكننا من تفسير الأحداث تفسيرا عقليا ومنطقيًّا.

[1] المرجع السابق، ص50.

رفض هيوم فكرة السببية، لكنه لم ينكرها إنكاراً تاماً في الطبيعة، بل رفض أن يكون ضرورة عقلية .

يذهب هيوم إلى أن السببية عادة عقلية نشأت من التكرار والتعود، فإذا شاهدنا الحادثة (أ) ولا نعرف لها سبب قلنا بأنها (ب) وذلك لأننا لاحظنا لمرات عديدة كلما حدث (أ) تبعها (ب). ويشبه هيوم ذلك بمثال في كتابه "رسالة في الطبيعة البشرية" كرة البلياردو التي تنطلق لتصدم الكرة التي أمامها فهو يقول نحن لم نر إلا قوة صدرت من الكرة المتحركة لتصدم وتحرك الكرة الساكنة .إن ما نراه فقط تتابع وتلازم بين شيئين.

فمثلاً نحن شاهدنا لعدة مرات كلما حدث إشعال اللهب تبعته حرارة، أو أن الورقة تحترق كلما تعرضت للنار. من هذا التكرار تنشأ علاقة تداعي بين فكرتين، بحيث أن حصول الأولى لا بد أن يؤدي إلى الثانية، فالتكرار أو التعود قد ولد في أذهاننا عادة عقلية.

يرى هيوم إن مبدأ السببية، ليس صفة في الشيء ذاته، وإنما مصدره دائما التجربة الإنسانية والحسية. لذلك فهو يربط بتتابع الأحداث أو اقترانها فيسمي السبب مؤثراً، والنتيجة أثراً.

استفاد علم الطب كثيراً من نظريات هيوم وآرائه حول مبدأ السببية، وتحديدا في تشخيص الأمراض، فهناك أمراض يرثها الإنسان دون أن يكون له الدور في حدوثها أو سببها، ومثال ذلك مرضى السكري والسرطان الذين لا يتعرضون للمسببات أو الآثار[1].

الاستدلال العقلي أو مبدأ الاستقراء:

كان فرانسيس بيكون مؤسس النزعة التجريبية في الفلسفة، قد دعا في كتابه "الأورغانون الجديد" إلى تحرير العقل من أربعة أوهام قبل الخوض في أي تجربة في العالم الخارجي، وهي:

[1] امحمد الملاخ وحافظ إسماعيلي علوي، المعجم الذهني والتقييس الحاسوبي، ص 102.

1- أوهام القبيلة: وهي عبارة عن التصورات الذاتية في تفسير ظواهر الطبيعة وأحداثها وربطها بالعلة أو الغائية من وجهة نظر شخصية.

2- أوهام الكهف: وهي الموروثات والتقاليد والأعراف التي تفرضها البيئة والمجتمع على الإنسان وتؤثر في أفكاره وآرائه. 3

3- أوهام السوق: وهي اللغة السائدة المتضمنة مجموعة من الأفكار غير الواقعية فهناك الكثير من الألفاظ الشائعة الاستعمال تعبر عن موضوعات وهمية وتفتقر إلى الدقة والتحديد، ولا تخضع للنقد.

4- أوهام المسرح: وهي الآراء والمذاهب التي يتبناها عامة الناس من المشاهير أو مفكرين سابقين، وتهيمن على الأذهان لفترة طويلة، دون التمحيص والدراسة أو حتى الشك في صحة هذه الآراء والأفكار.

إذا كان الفلاسفة التجريبيون والحسّيون، قد تناولوا العقل وعلاقته بالعالم الخارجي، وطريقة توليد الأفكار فيه، فإن الفلاسفة المحدثين من رواد الفلسفة التحليلية أمثال الفيلسوف الإنجليزي برتراند راسل قد درسوا الأشياء والموجودات كواقع مستقل عن الوعي والذهن، وصنفوها كمعطيات حسية، فبرتراند راسل يتبنى المذهب التعدّدي للعالم ويرفض مبدأ الكون الواحد متسق الأجزاء، أي أن العالم ليس واحداً في تكوينه، بل عبارة عن مجموعة من حقائق وموضوعات وأحداث لا نهائية، ونستطيع أن نفسر هذا العالم عن طريق تحليل القضايا المركبة إلى قضايا أكثر بساطة عن طريق مبادئ الرياضيات، وهي طريقة التبسيط والاختصار إلى أبسط عنصر غير قابل للتحليل، فالعالم ينحل إلى ذرات، لكنها ذرات منطقية وليست فيزيائية. يصنف برتراند راسل المعرفة إلى نوعين: المعرفة المباشرة وهي المعرفة التي تأتي مباشرة من الشعور والإدراك الحسي دون وسائط أو كلمات، والمعرفة الثانية

هي معرفة غير مباشرة وتسمى الوصفية، وهي تختلف من شخص لآخر، وتعتمد هذه المعرفة على التراكيب العقلية، كالمخيلة والذاكرة، وطرائق الاستدلال[1].

نستنتج مما سبق أن الحس والتجربة هما شرطان أساسيان وحتميان في نشوء المعرفة داخل الذهن، وبناء عليه يتم توليد الأفكار واستحضارها.

ويمكن أن نتساءل هنا، إذا كانت كل فكرة بسيطة أو مركبة مصدرها انطباع حسي أولي، وإن كانت معارفنا مصدرها التجربة؟ فكيف يمكننا أن نستدل على أن 2+2=4 أو مجموع زوايا المثلث تساوي 180 درجة.

يقول أرسطو مؤسس علم المنطق في إحدى محاوراته: "إن كل من يحاول البرهنة على الحقائق الواضحة يكون كذلك الذي يسعى إلى إثبات وجود الشمس بضوء المصباح "[2].

أمّا هيوم فيذهب إلى أن هذه الأفكار هي أفكار مجردة للذهن ولا وجود لها على أرض الواقع، وإنما فقط في الذهن، لذلك فهو يطلق عليها يقينية برهانية، حيث لا يمكن أن تصور تلك الأفكار إلا قد وترابطت على هذا النحو ولا شيء غيره .

وهذا ما يدعى عند هيوم مبدأ عدم التناقض، أي أن معيار صدقها هو اليقين المطلق ونقيضها مستحيل. أما فيما يخص القضايا التي علاقة بالعلوم الطبيعية، وهو ما يطلق عليه بالقضايا التجريبية، وهي قضايا لا يمكن التيقن منها لأنها تحمل نقيضها أيضاً ولأننا لا يمكن التحقق منها إلا بالاستدلال التجريبي، إذ أن تلك الأمور لا تستند إلى براهين قاطعة ما دمنا نستطيع تصور نقيضها دون أن نقع في اللامعقولية.

[1] مصطفى بوعناني وبنعيسى زغبوش و إسماعيل لوي، المعجم الذهني واللغة العربية، ص45.

[2] أبو الوليد ابن رشد، نص تلخيص منطق أرسطو، م4، ص 150. دار الفكر اللبناني، 2007.

نحن مثلاً لمرات عديدة رأينا أن الورقة عندما تتعرض للهب نار تحترق، حتى أصبح عادة ذهنية ويقين ثابت لدينا، لكن هيوم يرى أن لا تحترق الورقة ليس أقل معقولية ولا تناقض من أن تحترق الورقة، ويضرب مثالاً في كتابه رسالة في الطبيعة البشرية، حول مسألة شروق الشمس من عدمه وحول قضايا اليقين التي لا تؤدي إلى تناقض "يمكن لجميع موضوعات العقل البشري أن تنقسم طبيعياً إلى ضربين هما: علاقات الأفكار والوقائع، من الضرب الأول علوم الهندسة والجبر والحساب، وباختصار كل إثبات يكون يقينياً إما بالحدس أو البرهان. أما الوقائع التي هي من الضرب الثاني من موضوعات العقل البشري لا يمكن التيقن منها بالطريقة عينها وليست بنيتنا على صدقها. القضية: الشمس لن تشرق غداً ليست أقل معقولية ولا تنطوي على تناقض أكثر مما تنطوي عليه القضية ستشرق." ومثلما يقوض هيوم اليقين القاطع الناتج من العلوم الطبيعية أو الظواهر التي ممكن أن نتصور نقيضاً لها في التجربة، فإنه يفند جميع القضايا المتعلقة باللاهوت والغيبيات ويعتبرها مجرد سفسطة أو أفكار مركبة من المخيلة، لذلك فهو يفترض إذا كانت (أ) قضية لها وجود، فإما أن تكون صادقة أو كاذبة، أما غير ذلك فلا وجود لها لأنها بعيدة عن إدراكنا الحسي وعن التجربة[1].

4/هيوم وعلم النفس التجريبي

لم يكتفِ هيوم بتقويض قضايا الدين واللاهوت، بل ذهب إلى الفلسفة نفسها وراح يرثي لحالها وحال بعض الفلاسفة الذين استسلموا لأوهام العقل، وأوغلوا في الكلام عن أشياء لا مرئية وغير مدركة من قبل الحواس مثل مبدأ الجوهر في الأشياء، ينفي هيوم هذا

[1] دافيد هيوم، تحقيق في الذهن البشري، ترجمة محمد محجوب، ص50. مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة،

المبدأ وتحدى جميع الفلاسفة أن يدركوه بالحواس أو التجربة، فحسب هيوم كل قضية لا وجود لها لا يمكن البرهان على صدقها أو كذبها.

أما فيما يخص النفس البشرية وسيكولوجيتها، فيذهب هيوم أنه لا وجود للأنا أو الهوية الشخصية عند الفرد، بل هي عبارة عن سلسلة من المدركات الحسية، فالهوية الشخصية عبارة عن مجمل انطباعاتنا الأولية، وإدراكاتنا ورأي الآخرين فينا، وهناك أشياء تكون مكتسبة من العادة تسهم في تكوين الهوية مثل مسائل الاعتقاد والإيمان، ومجموعة التجارب التي تبقى مطبوعة في الذهن، وبناء عليه تتوالد الأفكار التي تحكم سلوكنا، ونظرتنا للأشياء والعا لم من حولنا .

أراد هيوم تأسيس علم جديد هو "علم الطبيعة الإنسانية"، وقد أراد أن يجعل هذا العلم أساساً لكل العلوم مثل الرياضيات والطبيعة والدين والأخلاق، وكان يهدف بذلك إلى الدقة العلمية التي حازتها العلوم الطبيعية في مجال الموضوعات الأخلاقية، وباقترابه من المنهج التجريبي في تشريح النفس البشرية يفعل كما يفعل الطبيب يرى في الجسد الإنساني مجموعة من الأعضاء والأنسجة والكيفيات التي تعمل بها أجهزة الجسم[1] .

شرع هيوم يدرس سلوك الإنسان وما يتكشف لنا من أحاسيس وانفعالات، فدراسة الدوافع الأساسية للسلوك البشري سينتهي بنا حتماً إلى الانفعال والعاطفة، فحسب هيوم أن العقل لا يمكن أن يشكل دافعاً للسلوك ولا مركزاً للإرادة أو القرار بل أن العقل لدى هيوم هو ملكة خادمة للانفعالات والأحاسيس، والعقل البشري لا يعرف الحدود الأخلاقية ولا يفرق بين الرذيلة والفضيلة أو الخير والشر إلا بمقدار تأثر الإنسان من هذا الحدث أو ذاك. ومن خلال فحصه لظروف الأخلاقيات عند البشر؛ وجد أن الناس جميعاً

[1] المرجع السابق، ص55.

يمتلكون رغبة طيبة أو عاطفة خيرة، أما الأخلاق فهي نسبية ويحددها البشر وفقًا لما هو نافع لهم.

تعتبر فلسفة هيوم آلية تجريبية، تدرس الإنسان كمجموعة من الأجهزة والوظائف، فهي تسلخ الإنسان من كل عاطفة مقدسة ومن كل فكر خلاق يسمو به، وهي غير مسؤولة عن إيجاد حلول لمعضلته الوجودية، أما عن ماهية الإنسان في هذا العالم فكان يرى في الإنسان كائنا دائم البحث عن اللذة، يتجنب الألم قدر الإمكان، ويجلب المنفعة أنى أتيحت له.

أثرت فلسفة هيوم في عدد من الفلاسفة النفعيين من بعده وعلى رأسهم جيرمي بنتام وهو القائل" عندما قرأت فلسفة هيوم سقطت الغشاوة عن عينيَّ[1]."

[1] المرجع نفسه، 60.

المحاضرة الثامنة: منطقة المعنى

1- تعريف علم النفس اللغوي:

يختلف العلماء حول انتساب علم النفس اللغوي إلى علم النفس أو اللسانيات حيث يعتبره البعض أحد فروع اللسانيات التطبيقية والبعض الأخر يعتبره تابعا لعلم النفس نظرا لأن معظم موضوعاته تعمل على فهم وتحليل الجوانب التطبيقية للغة، ويعتبر هذا العلم من العلوم الحديثة التي لم تستقل إلا في النصف الثاني من القرن العشرين، مع ظهور الاتجاه المعرفي الفطري في اللغة والذي يعتبر ثمرة التقاء اللسانيات مع علم النفس، حيث غلب الاتجاه الفطري المعرفي في فهم طبيعة اللغة وأساليب اكتسابها وتعلمها وتعليمها. يدرس علم النفس اللغوي السلوك اللغوي للإنسان والعمليات المعرفية، النفسية والعقلية التي تحدث قبل وأثنا الإنتاج اللغوي، من حيث الفهم والإنتاج، كذلك اكتساب اللغة وازدواجية اللغة .

ظهر علم النفس اللغوي عندما المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي نظرياته حول طبيعة اللغة ووظيفتها ومنهج دراستها، وجاءت أفكاره ردا على الاتجاه السلوكي البنيوي الذي فسر اللغة كاستجابات ميكانيكية لقد رفض تشومسكي النظرة السطحية للغة ودعا إلى فهمها في إطارها المعرفي العقلي الذي يعتمد على أبنية عميقة ونظام فطري عالمي مهما اختلفت اللغة.[1]

.تتعدد مجالات الدراسة في علم النفس اللغوي، ونلخصها فيما يلي:

- استقبال وفهم اللغة والكلام، من حيث العمليات المعرفية المتحكمة فيه.
- إنتاج اللغة والكلام والسيرورات المعرفية المتحكمة فيه.

[1] محمد سعد محمد، في علم الدلالة، ص21.

- اكتساب اللغة الأولى والثانية والتعددية اللغوية.
- الاضطرابات اللغوية وما هي السيرورات المعرفية المضطربة فيه.
- دراسة اللغة الكتابية (اكتسابها، سيروراتها، اضطراباتها).
- لغة الإشارة عند الصم.
- الذكاء الاصطناعي المرتبط باللغة.

2- النشأة والتطور التاريخي لعلم النفس اللغوي:

مرّ تطور علم النفس اللغوي بخمس مراحل حتى استقل، واستغرقت هذه المراحل قرابة نصف قرن من الزمان، ونوجز هذه المراحل فيما يلي:[1]

2-1- المرحلة الأولى: ما قبل البنيوية:

تطورت الملامح الأولى لعل النفس اللغوي وفق المفاهيم النظرية لعلم النفس نظرا لتأخر تناول اللسانيين للجوانب المعرفية والنفسية للغة)قبل دو سو سير(وكذلك أسبقية علم النفس في دراسة السلوك البشري، وقد بدأت هذه المرحلة مع ظهور إسهامات وليام فونت الذي أشار إلى أن دراسة اللغة يجب أن يكون على أساس أصلها النفسي وأنها في حد ذاتها عملية نفسية ،ومع بداية القرن التاسع عشر برزت اللسانيات الحديثة مع أعمال دي سوسير الذي عرف اللغة بأنها نظام الإشارات والعلامات اللغوية، وأن كل إشارة مرتبطة مشير صوتي لغوي هو الدال كما أشار إلى أن العلاقة بين الدال والمدلول اعتباطية، لهذا تتعدد اللغات، وأضاف أن الإنسان يكتسب اللغة من خلال التمييز بين الإشارات والعلامات اللغوية المختلفة ،كما قال أن اللغة ملكة عقلية عامة تظهر في الدائرة الكلامية

---

[1] نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ص 10.المكتبة الأكاديمية، ط3، 2019

بين المتكلم والمستمع وتتضمن أربعة أجزاء أساسية: -**جزء خارجي** يتضمن الرنات الصوتية التي تخرج من فم المتكلم نحو أذن المستمع-. جزء نفسي وآخر غير نفسي، يتضمن الثاني الأعمال الفيسيولوجية التي تقوم بها الأعضاء الصوتية، ويضم الحقائق الفيزيائية الواقعة خارج الفرد.

جزء إيجابي فعال وآخر سلبي غير فعال، فكل شيء ينتقل من مركز الارتباط للمتكلم إلى أذن السامع إيجابي فعال، وكل شيء ينتقل من أذن السامع إلى مركز الارتباط عنده سالب غير فعال-.كل الأشياء الفعالة في الجزء النفسي من الدائرة تقوم بالتنفيذ ،وكل الأشياء غير الفعالة تقوم بالاستقبال. رغم هذا لم تتعد هذه المرحلة الإشارة إلى أهمية دراسة الجوانب النفسية للغة[1].

2-2- المرحلة الثانية:

البنيوية السلوكية: إن النشأة الحقيقة لعلم النفس اللغوي ظهرت بتمازج اللسانيات مع علم النفس بفضل عالم النفس الأمريكي بروس سكنر واللساني البنيوي ليونارد بلومفيلد في منتصف القرن العشرين .لقد فسر سكنر اللغة بأنها سلوك آلي يتم اكتسابها بشكل حسي آلي، وتتفق هذه النظرة مع البنيوية التي ترى اللغة من حيث الشكل السطحي. لقد اهتم البنيويون بوصف ظاهر اللغة ومكوناتها كالفونيم والمورفيم وغيرها والنظم التي تحكم العلاقة بين هذه المكونات، أما السلوكيون فقد ركزوا على وصف السلوك اللغوي الظاهر الذي يفسر بأنها استجابة لمثير ويخضع تكراره للتعزيز . تم انتقاد هذا الاتجاه في انه لم يتعمق في

[1] المرجع السابق، 23.

فهم النواحي المعرفية للغة وبقي في الوصف السطحي للغة، مما جعله عاجزا عن تفسير عدة ظواهر لغوية.[1]

2-3 المرحلة الثالثة: مرحلة التكوين:

جاءت هذه المرحلة امتدادا التي قبلها، حيث أدرك بعض السلوكيين أن القوانين التي وضعوها غير كافية لتفسير العوامل الباطنية غير الملاحظة للغة، لقد ظهرت بوادر هذا التحول مع نظريات المعلومات التي ساهمت في ظهور الكمبيوتر كما ساهمت في فهم إنتاج الكلام وفهمه وكيفية إرسال الرسالة اللغوية واستقبالها، وتميزت هذه المرحلة بتغلب الجانب النفسي المعرفي المعلوماتي على الجانب اللغوي.

2-4- المرحلة الرابعة: مرحلة الاستقلال

بدأت هذه المرحلة في أواخر الخمسينات مع ظهور أراء تشومسكي حول طبيعة اللغة وطريقة دراستها وطريقة اكتسابها في كتابه بعنوان "الأبنية النحوية" كما طرح أفكاره حول عالمية اللغة فطرتها وطرح النظرية التحويلية التوليدية التي أعطت تفسيرات لكيفية إنتاج ملايين التراكيب من مجموعة كلمات محددة، وقواعد محدودة .طور تشومسكي نظريته اللغوية النفسية إلى ما عرف بالنظرية المعيارية وشرحها في كتاب أصدره عام 1965سمّاه جوانب من النظرية النحوية ركز على التراكيب اللغوية والمعاني الدلالية التي عبر عنها بالأبنية العميقة، في مقابل الأبنية السطحية، ثم تحدث عن المفردات المعجمية وكيف يمكن إدخالها لتكوين البنية العميقة.

[1] إبراهيم محمد صالح، علم النفس اللغوي والمعرفي، دار البداية،2017، ص70 .

2-5- المرحلة الخامسة: المرحلة العلمية المعرفية:

اتسمت هذه المرحلة باستقرار المفاهيم المكوّنة لعلم النّفس اللّغوي، إضافة إلى ظهور أساليب وطرق للبحث فيه مما سمح له بالتدخل في عدة مجالات من بينها الترجمة الفورية وتطوير برامج حاسوبية تساعد في التصحيح الذاتي وتوقع الكلمات ..إلخ.[1]

3- مستويات اللغة:

غالبا ما يتم الاعتقاد أن اللغة عبارة عن نظام واحد، لكن هي نتاج إتحاد مجموعة أنظمة فرعية ،هذه الأنظمة تتكون من خلال النشاط العصبي والتحكم المعرفي في الدماغ والتنفيذ الحركي في أعضاء النطق، وقد قام علا اللغة بوصف مستويات اللغة بشكل مفصل نوجزه في التالي:

3-1- المستوى الصوتي: هذا النظام يحدّد نطق أصوات اللغة والكلمات وفق الأنماط المقبولة المتعارف عليها لدى الجماعة اللغوية، ويميز علما اللغة بين الجانب الفونيتيكي الذي يهتم بالأصوات المنفردة للغة وصفا وتحليلا وشرحا، والجانب الفونولوجي الذي يعنى بأثر الصوت اللغوي في تركيب الكلام نحوه وصرفه، ولهذا يمكن أن يطلق عليه علم الأصوات الذي يخدم بنية الكلمات وتركيب الجمل في لغة من اللغات، وإن كان يصعب الفصل بينهما وتحديد فواصل دقيقة بين المصطلحين.

3-2- المستوى الصرفي: هذا المستوى هو نظام يعالج من خلاله بنيات الكلمات وأنواعها وتصريفاتها واشتقاقاتها، ويقوم هذا النظام على المادة الخام للكلمة وهو المورفيم الذي يعتبر أصغر وحدة لغوية وظيفية، وتنقسم المورفيمات إلى حرة تأتي مستقلة في الكلام مثل "رجل

---

[1] المرجع نفسه، ص75.

" "كأس" وتوجد مورفيمات مقيدة تأتي دائما مرتبطة بالكلمات مثل "أل "التعريف و" نا"الضمير المتصل.

3-3- المستوى المعجمي: يقصد به مجموع المفردات اللغوية المتاحة للتعبير عن المعاني والمواقف المختلفة في إطار اللغة، يحتوى هذا المستوى على كل المعلومات المرتبطة بالكلمات)الشكل الصوتي، المكتوب، دلالتها ...إلخ(، هنا يمكن أن نتكلم عن المعجم الذهني.

3-4- المستوى الدلالي: يتكون هذا المستوى من معاني الكلمات وقواعد النظم والتراكيب وقواعد الأسلوب كاستخدام الألفاظ لغير ما وضعت له من أغراض بلاغية، كتوضيح المعنة والمبالغة والإبانة أو العرض في صورة جذابة، والدلالة تشير إلى معنى الوحدات اللغوية وفق سماتها الدلالية المعروفة

3-5-المستوى البراغماتي: هذا النظام هو عبارة على القواعد التبادلية للغة وكيف نستخدمها في السياقات التواصلية المختلفة، ويعبر عن الأغراض اللغوية المختلفة، ويعتبر أعلى نظام وأعقد نظام في اللغة لدى الإنسان نظرا لتداخل سيروراته مع الوظائف الذهنية العليا ومن أهمها التفكير الاجتماعي[1].

-**4.إدراك الكلام**: يعتبر الكلام ظاهرة لغوية معقدة، متشعبة الجوانب، ويتطلب إدراك الكلام تدخّل عدة مهارات وعمليات ذهنية، حيث يبدأ باستقبال الذبذبات الصوتية التي تحمل الكلام إلى أن تتحول إلى تصوّر في ذهن المستمع ويتميّز الكلام بطبيعة أكوستيكية تكون الكلمات محدودة الزمن وتتداخل صوتيماته فيما بينها، ومن الواضح أن الجهاز العصبي للإنسان معدّ للتعامل مع الأصوات اللّغوية، وسنحاول تحديد الجوانب المختلفة لإدراك كلام الإنسان.

[1] نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، ص20.

4-1 **الإشارات الصوتية والمقاطع الصوتيمية:** إذا قمنا بتحليل العناصر الصوتية للصوتم فإننا سنجد أن العناصر الصوتية ليست ثابتة، وتتغيّر تلك الصفات بتغير البيئة الصوتية التي ينطق ضمنها الصوتم، كما تتغير تلك الصفات بتغير سرعة الكلام . ويأتي هذا التعقيد انطلاقا من قضية التقطيع segmentationحيث أن العناصر الصوتمية يصعب الفصل بينها وكذلك يصعب تحديد بدايتها ونهايتها وسط سلسلة فونيمات . أما قضية اللاتغير فتعني أن إدراكنا للصوتم ثابت لا يتغير بينما يتخذ أشكالا مختلفة استنادا لموقعه في الكلام.

4-2 **الإدراك الحدي:** على الرغم من أننا لا نعلم متى يبدأ الصوتم ومتى ينتهي، وعلى الرغم من أنه ينطق بشكل مختلف في كل مرة فإننا بارعون في تشخيص الصوتم، ولا ننتبه للفروق في نطق الصوتيمات إلا إذا جلب انتباهنا لذلك.

4-3 **رموز ما قبل الكلمات:** يبدو أن المواليد الجدد يمتلكون قدرات تمييزية إدراكية لغوية متطورة جدا فهم يستطيعون تمييز الأصوات اللغوية (الفونيمات) بين سن الشهر إلى أربعة شهور، وذلك استنادا إلى مدى جهر الفونيمات.

4-4.الصيغ البلاغية: يتضمن الكلام قرائن بلاغية مثل التنغيم والنبر، تساعد في فهم البنى القواعدية للجمل المسموعة، فالتغيير في إحدى القرائن البلاغية يؤدي إلى تغيير المعنى بشكل جوهري.

4-5.قراءة الشفتين: يدرك كثير من الناس أنهم يستفيدون من حركات شفتي المتكلم لإدراك ما يقوله بشكل صحيح ،ويعتمد الناس على حركات الشفاه لأن المعلومات التي يقدمها الصوت غالبا تكون غير كافية.[1]

[1] بد الله محمد النوايسة، النمو اللغوي والمعرفي للطفل، دار الإعصار العلمي للنشر والتوزيع، 2015، ص 47.

-5.نظريات التعرف على الكلمات: هناك عدد من النظريات التي تقترح تفسيرات متباينة لكيفية التعرف على الكلمات ،و سوف نتطرق لأهم نظريتين بشكل مختصر.

5-1 :نظرية الكتائب Cohort model: طرح كل من مارلسن-ولسن وتايلر 1980،حيث حاولا تفسير إدراك الكلمة المنطوقة، وتقول هذه النظرية أن مصادر المعرفة اللغوية) الدلالية، القواعدية، والاشتقاقية تتفاعل جميعا بسبل معقدة لتحليل الكلام المنطوق تحليلا جيدا .

يذكر أصحاب النظرية أن عملية التعرف على الكلمات تمر بثلاث مراحل:[1]

- المرحلة الأولى: تسمى مرحلة **الانفتاح للوصول** حيث تنشط عملية السماع كتيبة من الكلمات المرشحة والجزء الأول من الكلمة المسموعة مهمّ جدّا في تشكيل كتيبة الكلمات، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الاختيار selection stage، وهنا يتم اختيار كلمة واحدة من الكتيبة ،و في المرحلة الثالثة يجري التكامل integration stage حيث تتم الاستفادة من الخواص القواعدية والدلالية للكلمة المنتقاة.
- نظرية الأثر: طرح مكليلاند وإلمان 1986-1991نظرية شبكية في إدراك الكلام تبنى على الأسس الإرتباطية، تشبه هذه النظرية للوهلة الأولى نظرية الكتائب، لكنها تستند على مسلمات مختلفة هي:
- هناك ثلاثة مفاصل أو وحدات في ثلاثة مستويات مختلفة هي: السمات المميزة (الجهر، الهمس، مخارج الحروف) ،الصوتيمات، الكلمات.

[1] المرجع السابق، ص61.

- ترتبط مفاصل السمات المميزة بمفاصل الصوتيمات وترتبط مفاصل الصوتيمات بمفاصل الكلمات.
- تعمل الروابط بين المستويات في جميع الاتجاهات وهي تسهيلية في الأساس.
- هناك روابط بين المفاصل على المستوى نفسه وتكون الروابط كافة (تكبح الاستجابة (-تؤثر المفاصل في بعضها الآخر، ويعتمد مقدار التأثير على مقدار التنشيط ومدى قوة الارتباطات المتبادلة.
- ينتشر التنشيط والكف ويتفشيان بين المفاصل وينجم عن ذلك الانتشار صيغة من التنشيط أو الأثر.
- يتم التعرف على الكلمة من خلال مستوى التنشيط الذي تناله الكلمات المرشحة المحتملة. بشكل عام وبغضّ النظر على النظريات التي فسّرت كيفية تعرفنا على الكلمات المنطوقة يمكن لنا أن نلخّص المراحل النفس لسانية للتعرّف على الكلمة في النقاط التالية: -يستعمل الفرد المحلّل اللّغوي السّمعي لاستخراج الصوتيمات، وما إليها من الأصوات من الموجات الصوتية التي تصله.[1]
- يحتوي قاموس المدخلات السمعية معلومات عن الكلمات المنطوقة، التي يعرفها السامع، ولكن ذلك القاموس لا يحتوي معلومات عن معاني تلك الكلمات، ومهمة هذا القاموس هو التعرف على الكلمات المألوفة من خلال تنشيط وحدات الكلمات المناسبة
- تخزن معاني الكلمات في الجهاز الدلالي (الذاكرة الدلالية)

[1] نوال محمد عطية، علم النفس اللغوي، ص33.

- هناك جهاز يدعى قاموس مخرجات الكلام، مهمته تقديم الأشكال المنطوقة للكلمات.
- يقدم عازل الاستجابات الصوتمية phoneme responsebufferأصوات الكلام المميزة(العازل هو خزان مؤقت تخزن فيه المعلومات جنب الذاكرة قصيرة المدى).
- تستعمل هذه العناصر في تركيبات مختلفة، لذلك هناك ثلاث ممرات مختلفة بين سماع كلمة منطوقة وإعادة تلك الكلمة نطفا أو ترديده.

6- **إنتاج الكلام**: عندما نشاهد الناس يتكلمون بطلاقة ويسر تبدو عملية الكلام غاية في السهولة وهذا لأن أغلب العمليات التي تسبق نطق الكلام تحدث في الذهن وعلى مستوى الدماغ، لكن الكلام عملية معقدة تتضمن مراحل متداخلة وسريعة تبدأ من التفكير في التكلم وصولا إلى النطق وقد حاول العديد من الباحثين وضع نظريات ونماذج تفسيرية للكلام، واتفقت جميع النظريات حول وجود تخطيط مسبق للكلام، ووجود مراحل تسبق النطق والكلام، وأن مراحل الكلام تبدأ بالعمل (القصد والغرض) وتنتهي بالخاص (وحدات الصوت)، وأن العمليات التي تقود نطق الكلام تشبه عملية فهم الكلام لكنها ذات ترتيب مقلوب، ونظرا لتشابه أغلب النظريات والنماذج سوف تنطرق إلى أحد أحدث هذه النظريات

-1 "**نظرية ليفلت " ويفر**:" ++طرح ليفلت ورولوف وماير1999 هذه النظرية واستمدوا ++WEAVERمن الأحرف الأولى لعنوان النظرية وهو word activation and verification formencoding وقد تم توضيح النظرية في المخطط التالي:[1]

[1] نسيم عون، الألسنية محاضرات في علم الدلالة، ص94.

الاستعداد المفاهيمي

↓

الترميز الصوتي

↓

اختبار المفردات

↓

الترميز الاشتقاقي

↓

الترميز الصوتمي

↓

النطق

تعتمد هذه النظرية على عدة مسلمات هي:[1]

- تنشيط السلسلة الكلامية يبدأ من الأمام ولا يعود إلى الخلف .
- هناك ثلاث مستويات أساسية في الشبكة تقع في بدايتها تمثل مفاهيم المفردات، وفي المستوى الثاني تقع المفاصل التي تمثل الكلمات المجردة المستمدة من الذخيرة الذهنية وتقع في المستوى الأدنى المفاصل التي تمثل أشكال الكلمات بمستوى الصرفيم والمقاطع الصوتمية
- إنتاج الكلام يتم بشكل متسلسل صارم

[1] عمر عبد الرحيم نصر الله، مبادئ الاتصال التربوي، ص150/148.

- عندما ينشط أحد المفاصل تنشط آلية معينة وظيفتها هي التحقق ما إذا كان المفصل المنشط مرتبطا بالمفصل المنشط في المستوى الأعلى، وهذا لتفادي أخطاء الكلام .

يتم إنتاج الكلام بالمرور عبر ستة مراحل للمعالجة هي:

- الإعداد المفاهيمي: تنشط المفاهيم المحتملة استنادا إلى المعنى والصور الذهنية
- اختيار الكلمات يقوم الفرد باختيار كلمات مجردة مع سماتها القواعدية، ويتم اختيار الكلمة المجردة لأنها أكثر نشاطا من أي كلمة أخرى.
- الترميز الاشتقاقي (الصرفيمي): يتم اختيار الشكل الأساس للكلمة ويجري تنشيطها
- الترميز الصوتيمي: يجري استخراج مقاطع الكلمة
- الترميز الصوتي: حيث تعد أصوات الكلمة
- النطق: نطق الكلمة من خلال تحريك عضلات النطق
- بالإضافة إلى هذا هناك عملية مراقبة للذات ترصد الكلام الداخلي

7/ **الذاكرة الدلالية:** ظهر مفهوم الذاكرة الدلالية مع نهاية الستينات بفضل أعمال (ROSS)و (QUILLIAN) في مجال الذكاء الاصطناعي، وانطلاقا من أعماله وضع نموذج لتنظيم المعارف وفهمها داخل الذاكرة الدلالية، هذا وقد فتحت أعماله الباب للعديد من الأعمال بعده،أين مكنت الباحثين من افتراض عدة نماذج مفسرة للذاكرة الدلالية لكن ما هو ملاحظ أنه رغم تعدد النماذج المفسرة لها إلا أنها انطلقت من تعريف موحد لهذا النوع من الذاكرة وانتهت إليه .فنجد (TULVINGE) يعرفها على أنها ما

تؤول إليه كل المعلومات التي يتلقاها الفرد عن قصد أو غير قصد حول العالم المحيط بنا، أين يتم ترميزها ترميزا دلاليا، ومحتواه مجرد وعاء بحيث تتضمن المفاهيم والمعارف اللسانية والتمثيلات المعرفية المتعلقة بالمعارف العامة، وهذه التمثيلات لا تكون مرتبطة بوضعية اكتساب معينة، وعن وظيفتها يرى كل من THOMSON ((TULUING أن الذاكرة الدلالية تهتم بتخزين واستعمال المعارف المتعلقة بالكلمات والمفاهيم، خصائصها وعلاقتها التي تجني من تجارب الفرد، بحيث إنه عندما ينشط مفهوم فان خصائصها تنشط معه بطريقة تسهل على الفرد الوصول إلى المفهوم وكذا خصائصه[1].

كما أن الدلالة تهتم بدراسة معاني الكلمات وعلاقتها واكتساب كلمات جديدة تستدعي تخزينا للخصائص الدلالية الخاصة بالأشياء وربطها مع البنود القريبة إقامة علاقات دلالية، والتمثيلات الدلالية غير الواضحة وغير المطابقة يمكن أن تسبب في تأخر المعجم (lexique) على مستوى الاستقبال والإنتاج.

-8. نماذج الذاكرة الدلالية:

8-1 النموذج الشبكي ل :QUILLIAN يعتبر هذا النموذج الأول للذاكرة الدلالية، اقترح عام 1966من طرفQUILLIAN، ويقصد بتسمية الشبكة الدلالية "بنية تمثيلية للمعرف "والتي تظهر تحت شكل علاقات يتضمن عقد وهذه العقد تمثل الأشياء، مفاهيم وأحداث، وتكون العقد متصلة ببعضها البعض بواسطة الأقواس التي تحدّد طبيعة العلاقات التي تربط العقد فيما بينها يكون هذا النوع من العلاقات مكتمل موجه، معرف. وهدفQUILLIAN من أبحاثه حول الشبكات الدلالية هو وضع المفاهيم ضمن بنية

[1] منذر عياشي، اللسانيات والدلالة، اللمة، ص 67.

واسعة، بحيث يبرز معنى المفهوم من خلال المكان الذي يشغله في الشبكة وأشكال العلاقات التي تربطه مع المفاهيم المجاورة، ويوجد فئتين من الارتباطات

- ارتباطات بين المفاهيم.
- ارتباطات بين المفهوم ومعانيه. [1]

8-2 نموذجCOLLINS–و LOFTUS:

يرى كل من(COLLINSLOFTUS) 1975 من خلال نموذجهما أن الذاكرة الدلالية عبارة عن شبكة من المفاهيم، وهذه متمثلة داخل الشبكة بعقد ترتبط ببعضها البعض من خلال روابط وتكون المفاهيم غير منتظمة بصفة رتيبة .فعندما ينشط مفهوم في الذاكرة الدلالية، فان المفاهيم التي تتقاسم معه الخصائص هي بدورها تستثار وتنشط فهي عملية تجريب دون فهم وقصد، وقد فرق كل منCOLLINSو LOFTUS من الروابط التي بين المفاهيم، أولا الربط الذي يكيف المفهوم وهو الرابط الذي يجمع المفهوم وخاصيته ورابط الاحتواء الذي يجمع المفاهيم مثل:

فاكهة حوامض برتقال.

8-3نموذج من مقارنة الملامح–

اقترح هذا النموذج من طرفSHOBER , RIPSو SMITH فحسب نموذجهم تكون المفاهيم الموجودة في الذاكرة الدلالية ممثلة كمجموعة خصائص دلالية وهذه الخصائص تنقسم إلى نوعين :خصائص أساسية مرتبطة بالتعريف، وخصائص مرتبطة بالصفات المميزة. وهذه الخصائص هي التي تحدد معاني العبارات، فيروا انه ليتمكن الشخص من الإجابة والتحقق من العبارات الدلالية، يجب أن يمر بمرحلتين من المقارنة:

[1] المرجع السابق، ص74.

المرحلة الأولى: وتتضمن ثلاثة عمليات:

أ- وضع قائمتين تتضمن خصائص لصفات المفهومين المكونين للعبارة الدلالية

ب- قائمتين والتي من خلالها يحدد إلى أي مدى يتشابه المفهومان، ويرى أن المقارنة تحدد إلى أي مدى يتشابه المفهومان، وهذه المقارنة دليل للتماثل أو الاختلاف بين المفهومين

المرحلة الثانية :تحسم قيمة الدليل، استنادا إلى خصائص الربط بين المفهومين وإذا كان ضعيفh سيحصل رفض للعلاقة .ويشير كل من RIPS SHOBENR و SMITH ان عملية المقارنة ككل تتم خلال ثوان وعليه فالأمر يتعلق بعملية واعية تأملية[1].

9 **المعجم الذهني**: هو نظام مترابط يحوي مجموع الوحدات المعجمية في لغة ما، والتي لا يمكن لأحد متكلميها أن يحيط بها مهما بلغ حرصه على استقصائها ،يمثل المعجم مجموع الكلمات أو الوحدات المعجمية للغة من اللغات المعينة، والموجودة في أذهان متكلميها، وهو شيء مجرد غير ملموس ،وافترض المسعودي(2016)أن لفظة معجم تحيل إلى الثروة المفرداتية الموجودة بالقوة لدى المتكلم المستمع المثالي، والتي تمثل مستوى من مستويات القدرة لديه، وعلى المؤلفات اللفظية المتضمنة للوائح من المفردات غير المصحوبة بالتعاريف.

10. العلاقات التنظيمية في المعجم الذهني: تشكل العلاقات الداخلية في المعجم الذهني إحدى القضايا المركزية التي انكب على دراستها السيكولسانيين والنورولسانيين، ذلك لمعرفة النشاط المعجمي في الذهن، بخصوص عمليتي تخزين واسترجاع الوحدات المعجمية، والوقت القياسي الذي تتم فيه هاتان العمليتان، وكيف يتم إسقاط

[1] ريبس إل جيه، شوبن، المسافة الدلالية والتحقق من العلاقات الدلالية، مجلة التعلّم اللفظي والسلوك اللفظي، م14، ص 681/665.

المعنى في الصوت والعكس؟ وهكذا، يجب أن ننظر إلى المعجم الذهني على أنه نظام مفاهيمي، يتكون من المفاهيم وإدراكاتها اللغوية على المستويين الشفهي والكتابي، أكثر من كونه مجرد لائحة من المداخل المعجمية . ويعد ليفلت 1985) Levelt(من الأوائل الذين اقترحوا تصنيفا للعلاقات الداخلية التي تحدث في المعجم الذهني للفرد. وميز بين نوعين من العلاقات، الأولى علاقات جوهرية والثانية علاقات ترابطية. وتحدث العلاقات الجوهرية عندما تربط العناصر المعجمية من خلال مكون واحد، على الأقل، بالمعلومات المعجمية) الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية. أما العلاقات الترابطية فتحدث من خلال معناها، في الحقول الدلالية، مثلا (تفاحة، حقل الفواكه) أومن خلال كلمة تشترك معها في نفس الحقل المعجمي. وافترض كل من فاي وكولتر نوعا آخر من العلاقات التنظيمية للمعجم الذهني، تقوم أساسا على خصائص الوحدات المعجمية، حيث تتعالق الوحدات المعجمية التي لها نفس الأجزاء الأولية أونفس الأجزاء النهائية وهكذا، ينشط المعجم الذهني للمستمع بمجرد النطق بالفونمين الأولين من الوحدة المعجمية، بشكل يسترجع فيه كل الوحدات المعجمية المخزنة،التي تبتدأ بنفس الفونيمين .و تكون هذه الوحدات المعجمية بمثابة كتيبة) cohort) يقصي منها المستمع مالا ينسجم مع المعلومات الصواتية التي يستقبلها، قبل صياغة القيود التركيبية والدلالية لهذه الوحدات المعجمية .وفي تصور آخر للعلاقات المنظمة للمعجم الذهني، افترض كل من فاي وكوتلر وجود معجم ذهني واحد ينظم عمليتي الفهم والإنتاج وقد اعتمد هذا الافتراض على معالجة الأخطاء اللغوية أو زلات اللسان في الإنتاج الشفهي للغة، يبدوا لنا هذا الافتراض أقرب للصواب، لأنه من الصعب الحديث عن وجود معجمن ذهنيين، في ظل التعالق الحاصل بين الوحدات المعجمية.حيث نجد أن ما يوظفه المتكلم في الإنتاج اللغوي يوظفه كذلك في فهم

المسموع،على الرغم من الحالة التي تكون عليها الوحدات المعجمية في كلتا العمليتين .حيث تكون نشطة أثناء الإنتاج اللغوي وسلبية أثناء فهم الملفوظ وخلافا لذلك، افترض غارمان وجود معجمين ذهنيين، الأول خاص بتنظيم العلاقات من أجل الإنتاج اللغوي، والثاني خاص بتنظيم علاقات التي يقوم بها المستمع لفهم المسموع.

11- **نماذج الولوج إلى المعجم الذهني**: يمتلك الإنسان قدرة هائلة في معالجة كم هائل من الوحدات المعجمية، أثناء عمليتي التلقي والإنتاج.و في هذا تأكيد على أن الفرد يخزن المعلومات المعجمية في معجمه الذهني ويلج إليها أو يبني بعض الأجزاء الأخرى انطلاقا من آليات محددة .فالمعجم الذهني إذن، يبدو قائما على نظام، والكلمة تتم معاينتها في أجزاء من الثانية، بحيث يقع تحديد ما ينتمي إلى اللاكلمات non-word، وقد حاولت العديد من نظريات علم النفس اللغوي تقديم نماذج تفسر الولوج إلى المعجم الذهني، إلا أننا سنحاول، في هذا المحور، التركيز على النماذج الأكثر تداولا في علم النفس اللغوي.[1]

11-1 **نموذج البحث التسلسلي**: من أشهر النماذج التي حاولت تفسير آليات الولوج إلى المعجم الذهني، نموذج فوستر 1976الذي تم تعديله من قبل موري وفوستر سنة 2004 في إطار نظريتهما الموسعة .ويقوم هذا النموذج على افتراض أن المعجم الذهني للفرد منظم بشكل تسلسلي وأن عملية البحث في المعجم الذهني منها مثل البحث في مكتبة كبيرة عن كتاب معين.و يؤكد فوستر أن البحث في المدخلات المعجمية في المعجم الذهني يتم بشكل تتابعي متسلسل، إلى أن يصل الفرد إلى الكلمة المحددة .وهكذا تعد المعالجة المعجمية، مستقلة عن المستويات اللسانية الأخرى (التركيبية أوالدلالية .)ويتكون

[1] لخزار عبد الإله، الهندسة الداخلية للمعجم الذهني وتنظيم المعرفة المعجمية في ضوء اللسانيات العصبية، مجلة الميادين للدراسات في العلوم الإنسانية، م2، ع1، ص58.

المعالج اللساني من سلسلة من المعالجات المستقلة،التي تتلقى بموجبها معلومات من المعالج السابق .حيث تقوم معالجتها بإرسالها إلى المعالج اللاحق .ويتلقى المعالج المعجمي نتائج التحليل الصواتي، فيعين الكلمة ثم ينقل الخرج إلى المعالج التركيبي،الذي يكون انطلاقا من الكلمات ذات بنية تركيبية، ترسل إلى معالج الرسالة، لبناء الدلالة،

2–نموذج اللوجوجن: ظهر نموذج لوجوجن (logogen model the)أول مرة مع عالم النفس البريطاني جون مورثون John Morton (1969)، كمحاولة لحساب الإدراك البصري والسمعي للوحدات المعجمية، ومعالجة الولوج إلى المعجم الذهني أثناء فهم أو إنتاج اللغة .ويفترض مورثون أن الإنسان عندما يلج إلى وحدة معجمية معينة في معجمه الذهني، تقع أحداث في الجهاز العصبي ويشمل هذا النموذج ثلاثة عناصر أساسية هي : نظام اللوجوجن(logogen system)، والنظام المعرفي (cognitive system)ثم مخزن الاستجابة .(response buffer)ومع ذلك فإن الميزة الأساسية لهذا النموذج هو نظام اللوجوجن، الذي يعد جزءا مهما من الجهاز العصبي المسؤول عن المعالجة المعجمية، وهكذا افترض موروثن في البداية، أن نظام اللوجوجن أحادي الجانب، لكن بفضل مجموعة من النتائج التجريبية،عدل عن افتراضه وقسم النموذج إلى ثلاثة أقسام، وميز بين مدخلين متخصصين، المدخل الأول سمعي وبصري والثاني نظام مخرجات اللوجوجن . والمبدأ الأساسي لتفعيل النموذج هو أن جزءا مهما من المدخلات، يعطي دليلا إلى أكثر من لوجوجن واحد .مثلا في حالة معالجة كلمة "فأر " ستتضمن مخرجات التحليل البصري السمات الآتية (ثلاثة أحرف +مهموزة الوسط).فهذه السمات لا تختص فقط بكلمة"فأر"

وإنما تثير جميع اللوجوجنات الخاصة بجميع الكلمات التي تتضمن السمات نفسها، مثلا "فأس، كأس).[1]

3-11 **نموذج الكتيبة**: جاء نموذج الكتيبة (The cohort model)في سياق المشاكل التي طرحها نموذج اللجوجن، من قبل عالم النفس البريطاني ويليام مارسلن ويلسون،William Marslen Wilsonوقد تم تعديله عدة مرات،بناء على نتائج التجارب التي قدمت من قبل مارسلن ولسون وويلش(1978)ومارسل نولسون ويفترض نموذج الكتيبة (cohort)وجود مجموعة من الآليات التي تمكن من الولوج إلى المعجم الذهني، وبمجرد معالجة الفرد للأصوات الأولى التي يسمعها، يتم تنشيط جميع الكلمات التي تتضمن نفس الأصوات، بحيث تشكل هذه الكلمات كتيبة أو مجموعة تشترك في الحروف الأولى. وهكذا يتم إزالة كل الكلمات التي لا تتطابق مع نفس الحروف المنطوقة، إلى أن يصل إلى الكلمة المحددة بدقة، عل سبيل المثال، إذا سمع الفرد وحدة معجمية من قبيل"معلم"،فإنه بمجرد سماعه للحرف الأول يستحضر كتيبة من الوحدات المعجمية التي تبتدأ بالحرف نفسه (مهندس، مراقب، مرتاح، موزع، معجنات، معلبات، معطى...إلخ)، وتعمل آليات الكشف عن الوحدات المعجمية بإزالة كل الوحدات المعجمية التي لا تتطابق في الأصوات، بشكل تدريجي، إلى أن يصل إلى الوحدة المعجمية المطلوبة[2] . وتبعا لذلك، تمر عملية إدراك الوحدات المعجمية من ثلاث مراحل أساسية: أولا مرحلة الولوج ،ثانيا مرحلة الانتقاء، ثالثا، مرحلة الإدماج والتعبئة . فعندما ينطق المتكلم بالأصوات الأولى لكلمة"ملح "يتم تنشيط كتيبة تتضمن كل الكلمات التي تبتدأ بحرف الميم المكسورة(ملعقة، ملح، مكنسة،

[1] المرجع السابق، ص60./61.

[2] ريبس إل جيه، شوبن، المسافة الدلالية والتحقق من العلاقات الدلالية، مجلة التعلّم اللفظي والسلوك اللفظي، م14، ص 69.

مناء، ملاحة، مقبس، منجل...إلخ)، ثم تأتي عملية مطابقة الحروف التالية بشكل متسلسل، فيتم انتقاء الكلمات التي تتضمن حروفا متتالية متشابهة مع حروف الكلمة المنطوقة "ملح("ملاحة، ملعقة، ملاذ...إلخ)ويتخلص من الباقي، ليستقر البحث في النهاية عند العنصر المحدد الذي يتضمن الحروف المنطوقة، ويتطابق معها بشكل تام.

12-اكتساب اللغة: تعتبر مرحلة الطفولة من أهم المراحل الحياة الإنسان، فيها تنمو قدرات الطفل وتنفتح مواهبه ويكون قابلا للتأثر والتوجيه والتشكيل ومما لاشك فيه أن هي تأثر عن طريق اللغة ورموزها والتي ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي أداة تواصل بين أفراد المجتمع وهكذا نجد نجاحا لطفل في اكتساب اللغة واستخدامها بكل سهولة وقد قسم العلماء مراحل اكتساب اللغة عند الطفل السويّ إلى مرحلتين: الفترة قبل اللّغوية، والفترة اللّغوية ولكل فترة من هذه الفترات لها مراحلها سندرجها كما يلي: [1]

12-**1 الفترة قبل اللغوية**: وهي مرحلة تمهيد واستعداد وتشمل على ثلاثة أطوار وهي كالآتي: طور الصراخ: " إن الصرخة التي يطلقها الطفل عند الولادة هي أول بادرة من بوادر قدرته على التصويت وقد أولى الفلاسفة والمربون هذه الصرخة كثيرا من الاهتمام، فراح كل منهم يؤولها كما يشاء، ويغزو إليها المعاني بعضها هي من قبيل التخمينات والافتراضات والبعض الآخر من قبيل الاعتقادات الغيبية والخيال، كل ما يمكن التأكيد في هذا المقام هو أن الصرخة لدى الولادة تدل على أن الوليد برز إلى الوجود مزودا بجهاز تنفسّ والحنجرة الضروريين لنمو ملكة التكلم عنده وعلى هذا فإن الصراخ هو نقطة البداية في نشوء اللغة، إذ سرعان ما يكتشف الطفل أنه يستطيع بواسطة الصراخ أن يعبر عن

[1] محمد عبد الحليم منسي، سيد محمود الطواب، علم نفس النمو للاطفال، نور للطباعة والكمبيوتر، الاسكندرية، 2003 ص200.

مختلف رغباته وحاجاته، والصراخ في الواقع هو مظهر من مظاهر الهيجان ويمكن أن يعبر عن الأفعال المنعكسة الناتجة عن الإحساس بالجوع أو الألم أو الانزعاج من وضعية معينة عير مريحة.

12-1-1 **مرحلة المناغاة:** تكون بعد مضي شهر إلى شهر ونصف تقريبا، يبدأ الطفل بإصدار أصوات ليست كالصراخ تماما ولكن أصوات مشابهة بغض النظر عن جنسياتهم أو قدراتهم على التعلّم. أن المناغاة تقوم على التلفظ الإرادي ببعض المقاطع الصوتية ويتخذها الطفل غاية في حد ذاتها فلا يعبر بها عن شيء وإنما يكررها وكأنه يلهو بترديده .والذي يعجب الطفل في هذه الفترة هو الاتصال بين الصوت والسمع الذي يكون واضحا إلى درجة كبيرة لذا نجد فيها الوليد الأصم لا يصرخ ولا يناغي أبدا. فما من شك، "أن مرحلة المناغاة خطوة أولى نحو تعلم اللغة، ولكننا لا نعرف على وجه الدقة آليات التحول، من مجرد اللعب بالصوت إلى عادات لفظية خاصة بكل لغة من لغات العالم، وكل ما نعرفه أن الطفل يتكون لديه في هذه المرحلة رصيد كبير من الأصوات والحروف التي يتدرب على النطق بها، وأنه عندما يكبر يقتبس من ذلك الرصيد ما يحتاج إليه من حروف ولكنه إذ يتعلم لغة الكبار يجد أن تلك الحروف تستعمل مع غيرها، وتتجاور فيما بينها، ويتأثر بعضها ببعض من حيث النطق لذلك فإن استعمال أصوات المناغاة وإدخالها في اللغة لا يتم بصورة عفوية بل لابدّ من الاستماع والتقيد والتعلّم.

12-1-2 طور التقليد: بعد اجتياز الطفل لمرحلة المناغاة، "يحاول أن يقلدّ الضجات التي يستعملها من حوله وخاصة ما كان منها صوتا بشريّا، وهو إذا يفعل ذلك إنما يخترع الكلمات من صنعه هو، وعلى الراشد أن ينتبه لها وأن يخاطبه بها لكي يتفاهم معه، على أن التقليد لا يلبث أن ينقلب اتجاهه من الطفل إلى الراشد، بعد أن كان من الراشد إلى

الطفل، حينئذ يبدأ التعلم الصحيح للغة، وهذا الانتقال من المناغاة إلى التقليد لا يكون فجائيا لأن الأطوار اللغوية هي في الواقع متداخلة، ولا يمكن أن نحدد لكل منها زمانا معينا، وعليه يمكن القول أن الطفل لا يلتقطها بسمعه من الكبار وفي السنة الثانية يظل يردد تلك الكلمات وكأنه يريد أن يجعلها راسخة في ذهنه. أمّا عندما يصبح الطفل قادرا على نطق (ماما، بابا) تأتي الحروف الأسنانية (د،ت) ،ثم الحروف الأنفية(ن) ثم الساكنة(ك،ق،ع) حتى هذه المرحلة لايزال الطفل يفتقد معنى الكلمات ولكنه يبدأ محاولات كما يتكلّم الآخرون، عادة ما يحاول التكلم مع نفسه أو مع ألعابه، هنا علينا عدم مقاطعته لما لهذا الأمر من أهمية في تطور مقدرة الطفل على الكلام، كما أن هناك فروق فردية بين الأطفال في القدرة على محاكاة ونطق الكلمة الأولى تبعا لعوامل عدة: مثل الذكاء، السن، فرص الكلام المتاحة، وجود الأطفال حوله في الأسرة.[1]

12-2 **الفترة اللغوية** :إن الفترة قبل اللغوية غير منفصلة تماما عن الفترة اللغوية، بل هما متداخلتان وخاصة حينما يأخذ الطفل في تقليد الأصوات، وتنقسم هذه الفترة إلى طورين

12-2-1:الطور الأول[2]

- **تعلم المفردات:** بحيث تكون المرحلة قبل اللغوية بمثابة الاستعداد وتهيء الطفل للانتقال إلى المرحلة اللغوية بأتم معنى الكلمة، غير أن في هذه المرحلة نجد مشكلة الزمن التي هي في العادة صعبة التحديد من طفل لآخر ويكون المرجع في ذلك الوالدين وهذا التحديد من قبل الوالدين يختلف، فالبعض يرى أن ابنه يتلفظ

[1] حنفي بن عيسى، محاضرات في علم النفس اللغوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1980، ص 60.

[2] محمد عماد الدين إسماعيل ، الأطفال مرآة المجتمع، النمو النفسي الاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص 90.

بالكلمات في سن مبكرة ويتلفظ بها صحيحة مثل الراشدين، غير أن العلماء يرونه يختلف تماما إذ يرون أنها تكون من السنة الأول بالنسبة لأغلب الأطفال، أما الممتازين من هم فتحديدها يكون في السنة التاسعة، ونشير إلى أن هذه المرحلة تتداخل مع مرحلة تقليد الأصوات التي يسمعها (قبل لغوية) ،والكلمة التي ينطقها الطفل هي في أغلب الأحيان ذات مقطع صوتي واحد مضاعف، وهذا ما عكف عصبة من العلماء على دراسته ومحاولة لإيجاد الكلمات المشتركة بين جميع الأطفال الناطقين في مرحلة معينة. أول ما يكتسبها الطفل من المفردات اللغوية هي الأسماء، وتكون قبل الأفعال وغيرها من أقسام الكلام، فحاجة الطفل إلى الأسماء أشد من حاجته إلى الأفعال والأسماء أقل تجريدا من الأفعال وتليها الضمائر والنعوت فالظروف، ثم الأحرف والاستفهام.

12-2-2 الطور الثاني-: تركيب الجمل :بعد اكتساب الحد الأدنى من المفردات الذي يقدره الباحثون بحوالي 100إلى 200 هذا من جهة، أما من جهة أخرى فإن الذخيرة اللغوية لدى الطفل لا تقاس بعدد المفردات التي يعرفها فحسب بل بحسب استعماله لها، وهذا يقودنا إلى المقدرة التي يتمتع الطفل بها في تركيب الجمل فالطفل عندما يستعمل كلمة واحدة إنما يعني جملة كاملة، لأن إداركه لأقسام الكلام إدراك كلي على مستوى الجمل لا على مستوى المفردات، ولأنه يستطيع تحليل ما يلفظه أو يسمعه من الكلام إلى الوحدات الصغرى المؤلفة به، ويمكن أن نميّز حسب العلماء بين ثلاث خطوات لتكوين الجمل لدى الأطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد، وتتمثل في ما يلي-:

- خطوة الكلمة القائمة مقام الجملة من السنة الأولى إلى السنة الثانية يعني بقوله "ماما "تعالي يا ماما.
- خطوة الجملة الناقصة من الثانية إلى الثالثة، المقصود بالجملة الناقصة هي الكلمات من اثنان أو أكثر(المرصوفة على بعض من غير أن ينتج عنها جملة تامة
- خطوة الجملة التامة بداية من السنة الرابعة، فقد لوحظ أن الجمل الناقصة يقل عددها ابتداء من السنة الثالثة وتحل محلها تدريجيا جمل أكثر تعقيدا، ونقصد بها الجمل المشتملة على النعت، اسم الإشارة، والإسم الموصول، والظرف وما إلى ذلك.

المحاضرة التاسعة: المقولات

1 / معنى المقولات:

المفاهيم والمعاني والصور الموجودة في ذهن الإنسان، تنقسم إلى قسمين: معاني جزئية ومعاني كلية، والمعاني الكلية خاصة هي التي نسميها بالمقولات، أما المعاني الجزئية فلا نصطلح عليها بالمقولات .والمعاني الجزئية الموجودة في الذهن تنقسم إلى معاني محسوسة، ومعاني متخيلة، ومعاني موهومة، أما المعاني الكلية فهي تنقسم إلى: مقولات أولية، ومقولات ثانية.

ولكي تتبين هذه المسألة، نشير إشارة إجمالية إلى مسألة الإدراك، إذ يفسِّر الفلاسفة الإدراك على الوجه الآتي، عندما يواجه الإنسان الواقع الخارجي يدرك هذا الواقع عبر حواسه، فأنت عندما ترى هذا الكتاب تحصل لديك صورة له بواسطة حاسة البصر، وحينئذ يحصل لديك ارتباط واتصال بالكتاب من خلال هذه الحاسة، وتوجد هذه الصورة في القوة الحاسّة، أو في المدارك الحسية، ولهذا نقول: إن الكتاب الذي تراه أمامك هو صورة محسوسة، وتأتي بعد هذه المرحلة من الإدراك مرحلة أخرى، وفي هذه المرحلة تعمل قوة أخرى تسمى قوة الخيال، أي قوة الحافظة، وهذه القوة تلي قوة الحس، بمعنى أنها تكون فوقها في مرتبة، وفي درجة أعلى منها. وقوة الخيال تمارس عملاً على الصورة الموجودة في القوة الحاسة، وهذا العمل يطابق العمل الذي قامت به القوة الحاسة على الوجود العيني، فإن القوة الحاسة التقطت هذه الصورة من الوجود العيني الخارجي، بينما قوة الخيال تأخذ هذه الصورة من القوة الحاسة، أي أنه في القوة الحاسة تحصل صورة عند الإحساس وهي الصورة الحسية، بينما قوة الخيال تخلق صورة تناسبها من تلك الصورة الحسية، وهذه الصورة هي الصورة الخيالية.

وهنا ينبغي أن ننتبه إلى أن الصورة الموجودة في القوة الحاسّة غير الصورة الموجودة في القوة الخيالية، أي أن القوة الحاسة تحتفظ بصورة مناسبة لها، بينما قوة الخيال تصنع صورة غير تلك الصورة، وتكون هذه الصورة موجودة في وعاء خاص في قوة الخيال[1].

ثم بعد ذلك يأتي دور صورة أخرى، أن يرتقي الإدراك إلى مرتبة خلى أعلى من المرتبة الثانية، والصورة في المرتبة الأولى هي صورة جزئية، والصورة في قوة الخيال أو القوة الحافظة هي صورة جزئية أيضاً، كما لو غاب الكتاب الذي تبصره الآن عنك. أما في المرحلة الثالثة، فتكون قوة الإدراك أرقى وأسمى من القوة الحاسة والقوة الخيالية، والقوة الثالثة يكون عملها بالنسبة إلى القوة الخيالية وكأنه عمل القوة الخيالية بالنسبة إلى القوة الحاسة، فالقوة الخيالية تأخذ الصورة عن القوة الحسية، كذلك القوة الثالثة تأخذ الصورة عن القوة الخيالية وتحتفظ بها لديها، وهذه الصورة تتطابق وتتناسب مع القوة الثالثة، وحينئذ تكون هذه الصورة صورة كلية، وهذه القوة نعبّر عنها بالقوة العقلية، فالعقل هنا هو المرتبة الثالثة، أي أن المرتبة العقلية هي المرتبة الثالثة، بينما المرتبة الأولى هي المرتبة الحسية، والثانية هي المرتبة الخيالية، ولهذا تكون المدركات المحسوسة والمتخيلة مدركات جزئية، بينما المدركات والمعاني المعقولة تكون مدركات كلية[2].

2/ كيفية توالد المقولات في الذهن:

يوجد اتجاهان في تفسير هذه المدركات الكلية، اتجاه يذكره نصير الدين الطوسي وابن سينا، حيثُ يذهب هذا الرأي إلى أن العقل يقوم بعملية تجريد، أي العقل يحاول أن يجرد

[1] مسعد محمد أبو النجاء الرفاعي، جواهر المعقولات في علم المقولات ، ص 15.

[2] المرجع لسابق، ص20.

الصورة الحسية، فيُبعد ما به الامتياز ويحتفظ بما به الاشتراك، أي يجرد هذه الصورة، فحينئذ يحصل العقل على الكلي من الجزئي.

بينما ذهب صدر المتألهين إلى اتجاه آخر يرى أن الصورة الحسية تبقى محفوظة في القوة الحاسة، والصورة الخيالية تبقى محفوظة في القوة الخيالية، فيما القوة العاقلة تخترع وتصنع صورة في مقابلهما تناسب مرتبة القوة العاقلة، وهذه هي الصورة العقلية، أي إن الصورة ترتقي وتتطور وتتعالى في القوى النفسية، الصورة الحسية تتعالى إلى صورة خيالية، والصورة الخيالية تتعالى إلى صورة عقلية، بنوع من التطور والتعالي، وإن كانت كل صورة تلبث في وعائها الخاص.

إذاً الصورة الحسية والخيالية هي صورة جزئية، بينما الصورة العقلية صورة كلية[1].

3/ أقسام المقولات:

المقولات الموجودة في الذهن تنقسم إلى قسمين: مقولات أولية، ومقولات ثانية. والمقولات الثانية تنقسم إلى قسمين: مقولات ثانية فلسفية، ومقولات ثانية منطقية، والمقصود بالمقولات الأولية، هي الصور الكلية أي المعاني الكلية المباشرة للأشياء في الذهن، أو قل هي ماهيات الأشياء إذا فالمقولات تساوي المقولات الأولية، وتساوي الماهيات، وهي المعاني الكلية التي يتلقاها الذهن مباشرة من الواقع، كمعنى الكتاب الكلي الموجود في الذهن، ومعنى البياض الكلي، ومعنى التراب الكلي، ومعنى الورقة الكلي ... الخ. أما المقولات الثنية، فهي صفات وأحوال للمقولات الأولية، وهي تارة تكون فلسفية وأخرى

[1] ألكسندر ماكلوفلسكي، تاريخ علم المنطق، تعر نديم علاء الدينو إبراهيم فتحي، ص 242. دار الفارابي، بيروت، ط1، 1987.

منطقية، والفلسفية هي ما نقرأه في الفلسفة، كالإمكان والضرورة، والوجوب والامتناع، والعلة والمعلول، وغير ذلك. بينما المقولات الثانية المنطقية هي ما نقرأه في المنطق، كالكلي والجزئي، والمحمول والموضوع، وغير ذلك.

والمقولات الثانية الفلسفية يكون الاتصاف بها بالخارج وعروضها في الذهن، بينما المقولات الثانية المنطقية الاتصاف بها في الذهن وعروضها في الذهن أيضاً[1] .

4/ الفرق بين المقولات الأولية والمقولات الثانية:

توجد فروق أساسية بين القسمين من المقولات، فالمقولات الأولية: هي المعاني الكلية للأشياء التي يتلقاها الذهن مباشرة من الخارج، بينما المقولات الثانية هي مجموعة أوصاف وأحوال ذهنية للمقولات الأولية، ولذلك نقول: إن المقولات الثانية منتزعة من المقولات الأولية، ومعنى كونها مجموعة أوصاف وأحوال للمقولات الأولية يمكن تصويره بالمثال الآتي، فلو لاحظنا مفهوم الكتاب الكلي فهو معقول أولي، أي ماهية الكتاب في الذهن معقول أولي، ولكن اتصاف الكتاب بكونه كلياً . مفهوم الكتاب في الذهن كلي وليس جزئياً . فهذه الكلية أي مفهوما أو وصفها معقول ثان، وصف الأمر الفلاني بأنه علة معقول ثان. مثلاً النار علة للغليان، فاتصاف النار بكونها علة والغليان معلولاً، هذا نفسه معقول ثان لا أولي، ولهذا نقول المقولات الثانية لم تؤخذ من الخارج، بينما المقولات الأولية مأخوذة من الخارج مباشرة، وكلاهما مفاهيم كلية.

فالمقولات الأولية عبارة عن المفاهيم أو المقولات التي يتلقاها الذهن مباشرة من الخارج، بينما المقولات الثانية أوصاف وأحوال ذهنية للمقولات الأولية، وهذا ينطبق على المقولات الثانية المنطقية، لأن عروضها في الذهن والاتصاف بها في الذهن.

[1] أبو حامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، تقد علي بوملحم ، ص 291.مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993.

كما أن المقولات الثانية لا مصداقَ مستقلاً لها في الخارج، أي أنها غير موجودة في الخارج وجودا منحازا مستقلا، بخلاف المقولات الأولية، فمفهوم الكتاب الكلي فإن له مصداق في الخارج، بينما المقولات الثانية لا مصداق لها في الخارج، فالمقولات الثانية منتزعة من المقولات الأولية، بينما المقولات الأولية منتزعة ومأخوذة من الخارج مباشرة. وهنا نذكر مثالاً للمقولات الثانية المنطقية، كما نذكر مثالاً للمقولات الثانية الفلسفية. فمثلاً الكلي والجزئي من المقولات المنطقية، مفهوم الكتاب يتصف في الذهن بأنه كلي، والكلية هي قابلية المفهوم على أن ينطبق على مصاديق كثيرة ولو بالفرض، وهذه القابلية حالة من الحالات التي يتصف بها مفهوم الكتاب في الذهن، فالاتصاف بالكلية يكون في الذهن، كما أن عروضها يكون على المفهوم الذهني، كمفهوم الكتاب الذهني. والجزئية كذلك أيضاً. وإن كنا نقول أحياناً لشيء بأنه جزئي أو متشخص، لكن الجزئي غير المتشخص، التشخص يساوق الوجود، فالتشخص عين الخارج، أما الجزئي بالمصطلح المنطقي فهو صفة للمفهوم مقابل صفة الكلي، أي إن المفهوم الذي لا يقبل الانطباق على كثيرين هو الجزئي، ولهذا نقول: أن الجزئية من أحوال المفهوم الذهني، وليست من أحوال الأمر الخارجي المتشخص.

فالجزئية والكلية هي مقولات ثانية منطقية، أي أن الاتصاف بها في الذهن، وعروضها في الذهن أيضاً. كذلك الكليات الخمس، الجنس، والنوع، والفصل، والعرض العام، والخاصة، كلها من المقولات الثانية المنطقية.

وللمقولات الثانية، سواء كانت منطقية أو فلسفية، دور أساسي في المعرفة البشرية. أما المقولات الثانية الفلسفية، فالاتصاف بها يكون في الخارج، ولكن عروضها يكون في الذهن. ومعنى ذلك أن ما هو موجود في الخارج تارة يكون وجوده مستقلاً، كوجود

الكتاب، الحجر، الإنسان، ومرة لا يكون وجود الشيء الخارجي مستقلاً مثل لون هذا الكتاب، والحرارة بالنسبة للماء، فالحرارة ليست موجودة بشكل مستقل، لكن الحرارة موجودة في الخارج، وهي ليست عين الماء الحار، وإن كانت الحرارة ليست منفصلة عن الماء، فإذاً هي موجودة، ولكن وجودها وجود عرضي، فهي حالة عارضة للماء، وهذه الحالة منضمة إلى الماء، فعندما نقول: الماء حار، يكون للماء وجود، وللحرارة وجود، لكن الفرق بين الوجودين هو أن وجود الماء مستقل وقائم بنفسه، بينما وجود الحرارة يكون عارضاً على الماء وغير منفصل عنه، وإن كانت الحرارة موجودة في الخارج. وليس وجود المقولات الثانية الفلسفية في الخارج كوجود الحجر، الذي هو وجود مستقل، ولا كوجود الحرارة التي هي حالة في الماء، وإنما هي موجودة بوجود منشأ انتزاعها[1].

5/ المقولة:

ما هو معنى (مقولة)؟

الجواب: معنى المقولة هو المحمولة، فالمقولات تعني المحمولات.

. الجوهر والعرض:

الماهية أساساً: عنواناً عاماً، معنى انتزاعياً، معقولاً ثانياً، تنقسم انقساماً أولياً إلى قسمين كما تنقسم الكلمة انقساماً أولياً إلى: اسم وفعل وحرف، ثم بعد هذا الانقسام الأولي، ينقسم الفعل إلى: ماض ومضارع وأمر، فهذا انقسام ثان. وهنا نقول أيضاً الماهية تنقسم انقساماً أولياً إلى :جوهر وعرض، وهذا الانقسام للماهية هو للماهية بمعنى المعقول الثاني لا المعقول الأول. وما يندرج تحت هذه الماهية هو المعقولات الأولية، أي الجوهر والأعراض التسعة.

[1] المرج السابق، ص 293.

والمقصود بالجوهر، هو الماهية التي إذا وجدت في الخارج وجدت لا في موضوع، كالكتاب يوجد في الخارج مستقلاً أي قائماً بنفسه، وجوده غير وجود الحرارة للماء، أو البياض للورقة، فالحرارة موجودة بغيرها، بينما الكتاب موجود بنفسه[1].

.6/ تعريف الجوهر:

قد يقال: بعض الجواهر موجودة في الخارج ولكن لا بنفسها، بل موجودة في موضوع، من قبيل الصورة الموجودة في المادة، فهي موجودة في موضوع، فلا ينطبق عليها تعريف الجوهر .ولهذا ذكروا قيداً فقالوا: إن الموجود في موضوع له نوعان، تارة يكون موجوداً في موضوع، وهذا الموضوع مستغن عنه، كالحرارة الموجودة في الماء، ولكن الماء مستغن عن الحرارة، فلو جردنا الماء عن الحرارة لبقيَ الماء، كذلك البياض فإنه موجود في الورقة، وهي مستغنية عن البياض، إذ لو جردنا الورقة من البياض لبقيت الورقة، فهذا نوع من الوجود في موضوع، وفيه يكون الموضوع مستغنياً عنه. وأخرى يكون الموجود في الموضوع غير مستغن عنه الموضوع، أي لو لم يوجد الحال لم يوجد المحلُّ فعلياً، كالصورة الجسمية، التي تفيد فعلية الجسم في الامتدادات الثلاثة، فالجسم له فعليات متعددة، أحدها أنه ممتد في الأبعاد الثلاثة، الطول، العرض، العمق، والتي منها يتشكل الحجم، إذاً فالصورة الجسمية تفيد فعلية الجسم في الأبعاد الثلاثة، وهذه الصورة موجودة في موضوع، وموضوعها هو المادة، ولكن المادة غير مستغنية عن الصورة، لأن الصورة هي التي تحقق الفعلية، إذ لولا الصورة لما تحقق ارتفاع أو طول أو عرض، وبهذا القيد الجديد ينطبق تعريف الجوهر على الصورة، فنقول : الصورة مع أنها موجودة في موضوع، موجودة في المادة، ولكن هذا الموضوع غير مستغن

[1] الزواوي بغورة، أرسطو في الفلسفة العربية الإسلامية، ص59. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائر، ج2، ط1، 2001.

عنها، لأن المادة غير مستغنية في وجودها عن الصورة، باعتبار أن الصورة هي التي تفيد فعلية المادة، والصورة الجسمية هي التي تفيد فعلية الجسم في الامتدادات الثلاثة. ولهذا قيد التعريف بهذا القيد، فقيل: إن ماهية الجوهر إذا وجدت في الخارج وجدت لا في موضوع مستغن عنها في وجوده[1].

.7/ تعريف العرض:

العرض هو الموجود في موضوع، لكن ليس كل ما وجد في موضوع هو عرض، بل العرض هو ما وجد في موضوع وكان الموضوع مستغنياً عنه، كالحرارة الموجودة في الماء، والماء مستغن عنها، والبياض الموجود في الورقة والورقة مستغنية عن البياض. ولهذا نقول: الماهية إذا وجدت في الخارج، ووجدت في موضوع، وكان هذا الموضوع مستغنياً عنها، كانت هذه الماهية هي العرض.

. الدليل على وجود الجوهر والعرض:

وجود الجوهر والعرض بديهي، لأن الأعراض لا شك في وجودها، والفلاسفة كلهم آمنوا بوجودها، لكن منهم مَن أنكر الجوهر، كالفلاسفة الماديين، والطباطبائي يقول إن مَن ينكر الجوهر لابدّ أن يقول بجوهرية الأعراض، لأن الجوهر هو عبارة عن المحور الذي تلتقي به هذه الأعراض، فلو لاحظت التفاحة، فإن لها لوناً، وهو عرض، ولها طعم، وهو أيضاً عرض، ولها وزن، وهو كذلك عرض ... الخ، فهذه الأعراض بمجموعها تلتقي بمحور واحد هو التفاحة، وهو الجوهر، أي لو ذهب لون التفاحة تبقى تفاحة، كذلك لو ذهب طعمها، أو وزنها تغير، أو رائحتها تغيرت، فإنها تبقى تفاحةً، فبقاؤها يعني بقاء جوهرها، وانعدامها يعني انعدام جوهرها، فالذي ينفي الجوهر لابدّ أن يقول بجوهرية الأعراض، أي أنه يذهب

[1] المرجع نفسه ص70.

إلى أن حقيقة التفاحة في أعراضها، وبالتالي حتى مَن ينفي وجود الجوهر لابدّ أن يقول بوجود حقيقة للأشياء، وهذه الحقيقة هي الجوهر.

. المقولات لا أجناس فوقها:

الجوهر والعرض هي مقولات وأجناس عالية، أي أن هذه الأجناس لا أجناس فوقها، وإلا لو قلنا بوجود أجناس فوقها، فذلك يعني أن هذه الأجناس لابدّ أن تكون مركبة، أي يكون الجوهر مركباً من جنس ومن فصل، وحينئذ لابدّ أن تكون الأجناس التي فوقها مركبة أيضاً، وهكذا إلى ما لا نهاية[1].

. 8/ الفرق بين الجوهر والعَرَض:

هناك فرق بين الجوهر والعرض، وهو أن مفهوم الجوهر مفهوم ماهوي، أي معقول أولي، لأنّه أحد المقولات العشر، بينما مفهوم العرض مفهوم فلسفي، أي معقول ثان فلسفي، لأنه ليس واحداً من المقولات العشر، بل هو مفهوم أو عرض عام ينطبق على مقولات العرض التسع، ومثله كمثل مفهوم الماهية، فهو مفهوم ثان فلسفي، أي معقول ثان فلسفي ينطبق على الجوهر والعرض، كذلك مفهوم العرض، هو معقول ثان فلسفي ينطبق على مقولات العرض التسع، وليس جنساً لمقولات العرض، لأن مقولات العرض أجناس عالية لا جنس فوقها، وهي بسيطة، كالجوهر الذي هو جنس عال لا جنس فوقه[2].

.9/ عدد المقولات:

أن المقولات التسع العرضية هي: الكم، والكيف، والأين، والمتَى، والوضع، والجِدة، والإضافة، وأن يفعل، وأن ينفعل، كما قال المشّاؤون، ودليلهم على ذلك هو الاستقراء.

---

[1] المرجع نفسه، ص72.

[2] محمد ثابت الفندي، أصول المنطق الرياضي،ص65/64. دار النهضة العربية، بيروت، 1972.

ولكن بعضاً ذهب إلى أن المقولات أربع، وهي: الجوهر، والكم، والكيف، والبقية السبع، اعتبرها واحدة، وعبَّر عنها بالنسبة، لأن الأين هو نسبة الشيء إلى المكان، والمتَى نسبة الشيء إلى الزمان، والوضع نسبة أجزاء الشيء بعضها إلى بعض، والجِدة نسبة حاصلة من إحاطة شيء بشيء، والإضافة تكرر النسبة بين شيئين.

أمّا شيخ الإشراق السهروردي فقد اعتبر المقولات خمساً، وهي: كم، وكيف، ونسبة، وحركة، وجوهر[1].

[1] المرجع نفسه، ص68.

المحاضرة العاشرة: المقولات والكُلّيات في المنطق العربي الإسلامي (مقاربة تاريخية)1

يستدعي البحث في مجال الكليات والمقولات داخل الوسط المعرفي والفلسفي العربي الإسلامي إجراء دراسة مسحية أولية على المناخ الاجتماعي العام لهذه الحضارة الشرقية، التي تتميز بخصوصيات لغوية من جهة أولى وخصوصيات عقائدية دينية من جهة ثانية، ثم بيان ما لهذه الخصوصيات من تأثير على المنطق عموما وعلى فكرة المقولات بصفة خاصة، هذا، مع اعتبار أن علم المنطق يمثل حاويا للمقولات وغيرها من المفاهيم والآليات المنطقية الأخرى التي تفاعلت حينا واصطدمت حينا آخر مع هذه الثقافة رغم الطابع العلمي للمنطق.

إن مثل هذه الخصوصية الدينية عند العرب، والتي تغلب فيها العقيدة الإسلامية بصفة ساحقة (على اعتبار أن العرب كانت لهم علاقة بمعتقدات دينية أخرى كاليهودية والمسيحية في الشام ومنهم السريان)، إضافة إلى الخصوصية الألسنية والتي تُشكل اللغة العربية فيها لسانا جامعا -*-، هاتان الخصوصيتان طرحتا مجموعة من الإشكاليات، سواء ما تعلق منها بالمنطق إجمالا أو ما تعلق منها بآلياته ومفاهيمه المختلفة بصفة خاصة، مثل مفهوم المقولات والجوهر والوجود وغيرها من المفاهيم والأنساق الأخرى، من تصورات وتصديقات وبرهنة، ونحو وقواعد اللغة وأَحكامها.

لقد طرحت الخصوصيات المذكورة سلفا أسئلة كثيرة ذات أهمية كبرى في الحقل العربي الإسلامي وكانت لها قيمتها البالغة في تفسير تاريخ نشأة المنطق التقليدي مثل: هل المنطق علم مُنظِّم للفكر بوصفه خاصية عالمية إنسانية مشتركة ؟ أم أنه مجموعة من القواعد النحوية Grammaire=المتعلقة أساسا باللغة اليونانية وحْدها ؟ وهل الاشتغال بالمنطق

يوافق الدين، خاصة الدين الإسلامي ؟ ثم كيف تعامل المسلمون والعرب مع مباحث الكليات والمقولات؟ وكيف وظّفوها في المجال العلمي والاجتماعي؟ هل أضافوا عليها ؟ أم قبلوها كما هي ؟ ما هي أهم المؤلفات التي ساهموا فيها ؟[1]

إن تعامل العرب والمسلمين مع المنطق الأرسطي عموما ومع مبحث الكليات والمقولات خصوصا كان تعاملا متنوعا، سواء في شكْلهما العام أو من ناحية المضمون، لذلك تعددت الكتابات في مثل هذه الحقول، فنجد كتابات مزدهرة وخصبة، لكنها اصطدمت بمشكل الترجمة من اليونانية إلى العربية مباشرة أو الترجمة من اليونانية إلى السريانية ثم أخيرا الترجمة إلى العربية، هذه الحلقات وما تبعها من مزالق الترجمة والانحراف عن المقاصد الأصلية للنصوص، سواء كانت نصوصا فلسفية أو منطقية " تدفع إلى تنويع المقارنة، فيصبح من عدم الصواب الحديث مثلا عن هوية يونانية واحدة ووحيدة. فأرسطو مثلا لن يصبح واحدا، إذْ سنجده متكثرا، إذْ هناك " أرسطو المعرّب " عند المترجمين، و"أرسطو المشروح " عند الشُرّاح و" أرسطو المختصر" عند بعض الفلاسفة ، وفي بداية الحديث عن التعامل العربي للكليات وللمقولات، نشير إلى عناية العرب بالمقولات وذلك من خلال الأوزان اللغوية والأبيات الشعرية التي تعطيها إيقاعا صوتيا جرسيا يساعد على حفظه.[2]

نستهل الكتابات العربية عن المقولات، بأعمال **الساوي** المنطقية وفيها عرْضٌ للمقولات والتي سمّاها" **بالأجناس العشرة** " في كتاب بعنوان: **"البصائر النصيرية في علم المنطق"** ، وما يُلاحظ على **الساوي** أنّه عرَض المقولات بكيفية لم تخرج عن

[1] كيف يؤرخ للعلم ؟ ، سلسلة ندوات و مناظرات، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية ص64 و65

[2] المرجع السابق، ص 68.

الإطار الذي قام به الفلاسفة المسلمون، من تصنيف لأنواع الحدود والألفاظ والمعاني من حدود بسيطة ومُركَّبة وأنواع الوجود ومنه الوجود الجوهر substance والوجود العرَض accident، ونفسه الأمر سَلَكه كل من **نَجْم الدين القزويني** و**قطب الدين الرازي** في الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية [1]، كما ذُكِرت المقولات كمبحث منطقي عند محمد بن عبد الكريم **المغيلي الجزائري**[*] في مؤلَّف نادر له هو **"لبُّ اللباب في رد الفكر إلى الصواب** "حيث ذكَرها في الفصل الأوّل من هذا المؤلَف وعَرَضها بطريقته على شكْل **أجناس عليا** أيْ على شكل كليات، وذاتها الطريقة التي اتبعها المغيلي في ذكْر الكليات، سَلَكها أيضا **الأخضري** في "**سُلّمه**[2]" ، حيث أفْرَد فصْلا خاصا لموضوع **الكليات** بعْد أن قدّم لها بموضوع هو **الدّلالة وأنواعها**، وكالعادة، وعند كل عند تقديم لأيّ مبحث منطقي، يَجمَعُ الأخضري المادة المنطقية في أبيات شعرية ثم بعد ذلك يذهب إليها بالشرح والتفصيل، ومثال ذلك مبحث الكليات فيقول:

والكليات خمسةٌ دون انتقــاص جنسٌ وفصلٌ عرضٌ نوعٌ وخاص

و أوّل ثلاثة بلا شطـــط جنسٌ قريبٌ أو بعيدٌ أو وســـط [3].

كما اعتنى **أبو حامد الغزالي** في كُتبه المنطقية بمبحث المقولات، خاصة مؤلَّفه" **معيار العلم في فن المنطق** " حيث بَوّبَ له كتابا تحت عنوان **"أقسام الوجود وأَحكامه"** والذي يفتتحه بهذا المقصد، فيقول: " مقصود هذا الكتاب البحث عن أقسام الوجود،

---

[1] بن سهلان الساوي، كتاب البصائر النصيرية في علم المنطق، تحقيق محمد عبده، ص 23. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005.

[2] محمد بن عبد الكريم المغيلي الجزائري، لب اللباب في رد الفكر إلى الصواب، ص تحقيق أبي بكر بلقاسم ضيف الله، ص37/33. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2006.

[3] بن عبد الرحمن الأخضري، السلّم في علم المنطق، تحقيق فاروق الطبّاع، ص 66/62. متبة المعارف ،بيروت، ط1،200

أعني الأقسام الكلية والبحث عن عوارضها الذاتية التي تلحقها من حيث الوجود وهو المراد بأَحكامه[1]" ، إذْ يُمثل هذا الكتاب الخاص بمادة المقولات، الكتاب الثالث المدْمَج في كتاب عام هو **"معيار العلم في فن المنطق"** والذي بدأه الغزالي بكتاب أوّل هو "مقدمات القياس" ثم تلاه كتاب ثالث هو " القياس" ،و ما يلاحَظ على ما وَرَد في شروح الغزالي للمقولات في هذا الكتاب، هو أنها تميّزت بالاختصار والوضوح اللغوي مقارنة مع شروح ابن رشد مثلا، مع الإشارة لوجود بعض البصمات **الغزالية الشخصية** الواردة فيه، مثل تقسيماته **للجوهر**، حيث يُسمّي "الجوهر الأوّل بـ "**الجوهر الشخصي** " ويُسمّي الجواهر الثواني بـ "**الجواهر الكلية** "، كما تُضاف أبحاثٌ مفصَّلة في موضوع المقولات، منها كتابات وشروح **الفارابي، ابن سينا وابن تيمية وابن المقفع وابن حزم الأندلسي وابن رشد.**[2]

لقد ذَكَر ابن تيمية المقولات في معرِض **ردّه على المنطقيين**، واكتفى بالوقوف فيها على ما قدّمه ابن سينا مقارنة مع أرسطو، إذْ يُقسِّم ابن سينا الوجود إلى" **واجب** " **وإلى "مُمْكن** "أما أرسطو فيُقَسِّم الوجود إلى "**جوهر**" و"**عرَض**" ومفهوم الممكن عند ابن سينا لا يكون إلا **حادثا**، كما ذكر ابن تيمية المقولات في معرض كتابه" **نقْض المنطق**" وذلك في سياق استعراضه لأنواع العلوم عند الفلاسفة ومنها العلوم الطبيعية، التي اعتنت بمبحث الوجود وأَعْراضه، وهو يمثل أيضا مبحث المقولات عند المناطقة، وقد رأى ابن تيمية فيها " أنْ ليس عليها ولا على أقسامها قياس منطقي بل غالبُها **مجرَّد استقراء** وأضاف أن أرسطو قد نُوزع أيْ انتقد في كثير منه.

[1] أبوحامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، تقديم علي بوملحم، ص291. مكتبة الهلال بيروت، ط1، 1993.
[2] المرجع السابق، ص293.

و من بين الكتابات الإسلامية كذلك عن المقولات أيضا نجد كتابات **إخوان الصَّفا**، فالإنسان عند إخوان الصفا " هو أشْرف المخلوقات لأنه ناطق إلا أن هذا النطق أو المنطق نوعان: لفظي وفكري، أما **المنطق الفكري** أو الفلسفي أيضا فهو روحاني معقول وهو تصوُّر النفس لمعاني الأشياء في ذاتها ورؤيتها لرسوم المحسوسات في جوهرها وتمييزها لها في فطرتها، والأشياء كلها في المنطق جواهر (فصول) وأعراض(صفات " (، وعليه، فقد احتوت رسائلهم المنطقية على عدة مفاهيم منها موضوع تصنيف الحدود وموضوع المقولات، حيث أضاف إخوان الصّفا **حدّا سادسا** زيادة للحدود التي ذكرها **فورفوريوس** هو حدُّ **الفردي** L'individuel= ، ممّا يعطي المقولات الشكل التالي:

-1الجنس، 2- النوع، 3- الفردي، 4 -التمييز العيني، 5- الخاص، 6- العرضي، تُسَمى الحدود الثلاثة الأولى أوْصَافًا موضوعية، أما الثلاثة الأخيرة فتسمى أوْصافًا مجردة، والمقولات عند إخوان الصَّفا هي المفاهيم العليا، التي يكون الأول فيها الجوهر، والتسعة الأخرى أعراض[1]."

أما **ابن حزم**، فقد خصّ المقولات بعنوان سمّاه بالمقولات العشر في كتاب **الأسماء المفردة**، الذي يُمثل أحد مباحث كتابه المسمّى بـ: "**التقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** " وفيه تفصيل كذلك للمقولات مع بعض الملاحظات الخاصة به، مثل اعتباره أن مقولة الجوهر **أوّل الرؤوس العشرة** للمقولات وأنها تمثل أجناس الأجناس، لأنها حاملة لباقي المقولات ثم قَسّمها إلى الجواهر الأُوّل وسمّاها **بالجواهر الحق**، وهي الجواهر الأشخاص، وبَعْدها ذَكر القسم الثاني للجوهر وهو

[1] ابن تيمية، الردّ على المنطقيين، ج1، تقديم رفيق العجم، ص134.دار الفكر اللبناني، بيروت ، ط1، 1993.

الجواهر الثواني، مع تسجيل ملاحظة ما لابن حزم من بعض الاختلافات في خصائص المقولات، نذكر على سبيل المثال، اختلافه مع أرسطو في **قابلية الجوهر للتضاد**، فالجوهر الأرسطي لا مضاد له، ، غيْر أن الذي قصده ابن حزم في خواص الجوهر" :**هو قبول الجواهر للأضداد على جهة الحمْل كالقول أنّ زيْد عالِمٌ وزيد جاهل**[1]" ، مع إضافة لملاحظات أخرى، تخص ربْط ابن حزم لشروح المقولات بأبعاد دينية إسلامية، خصوصا منها مقولة الجوهر، ومنها صفات الله التي وقَع فيها خلاف مذهبي، فالأشاعرة مثلا يعتبرون أن المقولات الأرسطية العشر منها مقولتان اثنتان حقيقيتان وموضوعيتان وهُما **الوجود والكيف**، أما الثماني الأُخَر فليست أكثر من مُجرّد اعتبارات نسبية ذاتية توجد في ذهن الناظر، وليس لها أي وجود موضوعي[2]

لقد تناول ابن خلدون المقولات في الفصل الثالث والعشرين من "**مقدمته** " تحت عنوان **علم المنطق**، وفيه ذكرٌ **للكليات الخمس** التي تحوّلت إلى **مقولات عشر**، ثم أشار بعد ذلك إلى ما كان للمناطقة العرب المتقدمين والمتأخرين من اختلاف حول **أولويتها** في مقدمة الكتب المنطقية[3]

أما ابن المقفع(750-815م)، فقد وقَع خلاف حول ترجمته للكتب المنطقية ومنها كتاب المقولات، إلا أن الرأي المستقر يَذكر ترجمته" **للمدخل** "لكتاب المنطق المعروف بـ "**ايساغوجي** "لفورفوريوس الصوري [4].

[1] أبوحامد الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، تقديم علي بوملحم، ص379.

[2] المرجع نفسه، 184.

[3] عبد الرحمن ابن خلدون، المقدمة، تحقيقلاخليل شحادة، 487/486.

[4] ألكسندر ماكلوفلسكي، تاريخ علم المنطق، تعر نديم علاء الدينو إبراهيم فتحي،ص 300.

المحاضرة الحادية عشر: المقولات والكُلّيات في المنطق العربي الإسلامي (مقاربة تاريخية)2

ترك **الفارابي** مجموعة منطقية واسعة ومنها كتاب **ايساغوجي**=أي **المدخل** وهو بحثٌ خاص بالكليات والتي كان غرضه فيها البحث في الحدود وترتيبها، سواء كانت حدودا مُفرَدة أو حدودا عامة وهي المكوّن الأساس للقضايا سواء كانت حملية أو شرطية والتي تُستعمل في العلوم والجدل والخطابة والشعر والصناعة السفسطائية ومختلف الصنائع الأُخَر[1] ثم تلاه **كتاب المقولات**[*] ، وفيه قدّم الفارابي حلاّ تركيبيا للعلاقة بين مقولات الجوهر الفرد ومقولات الجواهر الثواني، أي بيْن المشّخص و الكليات، يتجسّد هذا الحلّ في الحاجة إلى بعضهما البعض من جهة أنّهم **معقولات**، حيث رأى الفارابي أن معرفة ماهية الفرد تتم عندما تكون معقولة، والجوهر الفرد يَصيرُ معقولا بعقل كلياته، والمعقولات منها (أيْ من الكليات (إنما صارت موجودة بوجود أشخاصها، فأشخاص الجوهر إذن تحتاج في أن تكون معقولات إلى كلياتها، وكلياتها تحتاج في أن تكون موجودة إلى أشخاصها[2]، ونفسه القول ينطبق على آراء ابن سينا في ذِكْر المقولات والكليات في كتابه " **النّجاة في الحكمة المنطقية والطبيعة والإلهية** "، حيث ذَكَر في مقدمة هذا الكتاب أنّه صنّفه تلبية لرغبة طائفة من الإخوان الذين لهم حرص على اقتباس المعارف الحِكَمية بأقسامها من منطق فطبيعيات فرياضيات فموسيقى فإلهيات فَفَلك، فجاء كتابه هذا جامعا لشتّى أقسام العلوم الفلسفية التي بَسَطها بإسهاب في موسوعته الفلسفية الكبرى الموسومة بكتاب "**الشفاء**[3]"

---

[1] محمد فتحي عبد الله، مترجمو وشراح أرسطو عبر العصور، ص75. دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،ط1، 2003.

[2] المرجع نفسه، ص78.

[3] المرجع نفسه، ص82.

كان ابن رشد **عقلانيا وأرسطيا بامتياز** ودليل ذلك هي تلك الأوصاف التي نَعت بها ابن رشد لكفاءات أرسطو والتي أوصلت هذا الأخير درجة ورتبة عالية، بلغت مستوى الوصف بـ" **الإنسان الإلهي** "التي يذكرها في فقرة مُطوّلة، حيث يشيد فيها بأبحاثه العلمية لبلوغها درجة كبيرة من الدقة والموضوعية وهي مقدمة لشرح السّماع الطبيعي أي)**كتاب الطبيعة** (لأرسطو، هذه النزعة العقلانية التي جُبل بها ابن رشد، طغت على فلسفته وانتاجاته المنطقية، فقد استعمل الحجاج العقلي المنطقي والحجاج الديني لبيان أن الحق المنطقي والفلسفي عموما لا يُضاد الحق الديني، فالحكمة توافق الشرع وتتصل به كما بيّن وقرّر في" **فصل المقال**"، أما في مجال المنطق، لم يخرج ابن رشد عن نسق أرسطو، بل كان يتابع أفكاره خطوة بخطوة ،إلاّ في بعض الاستثناءات الشارحة والتوضيحية الخاصة، أين كان يسرد بتوضيح **الأمثلة المُكيّفة** حسب طبيعة الثقافة العربية، حيث كان يشرح معاني المفاهيم المنطقية بالأمثلة المباشرة ويوضح من خلالها خصوصيات اللسان العربي، تمييزا عن الخصوصيات الإغريقية، "أما طريقة ابن رشد في الشرح فإنها تختلف في الشكل عن طريقة الفارابي وابن سينا وعن طريقة شُراح أرسطو اليونان مثل **ثامسطيوس**377)م) و**الأفروديسي**205)م) و**سميلقيوس** 533)م) فكانت طريقتهم أن يجعلوا غرض أرسطو في باب من أبواب فلسفته...فهذه لا تُعتبر شروحا بالمعنى الدقيق، فكان ابن رشد أول من عمد إلى النص الأرسطوطاليسي، يَعْرِضه، ثم يُفسّره ويُعَلّق عليه فقرة بفقرة، وعبارة بعبارة، وأحيانا يَذْكر نصوصا مستقاة من تآليف أرسطو الأخرى. [1]"

[1] ابن رشد، مقالات في المنطق والعلم الطبيعي، ص جمال الدين العلوي، ص35. دار النشر المغربية الدار البيضاء المغرب، 1983.

لقد لخّص ابن رشد الكتب المنطقية الأرسطية في سبْع مجلدات، ويَذْكر المستشرق الفرنسي ارنست رينانE. Renan في كتابه ابن رشد والرشدية أن بعض الروايات المتواترة تقول أن إقدام ابن رشد على شرح وتلخيص فلسفة أرسطو كان بِناء على رغبة الخليفة يوسف وبإلحاح من ابن طفيل إذْ كان الخليفة يشتكي من غموض عبارات أرسطو وكذا غموض أغراض فلسفته

عمل ابن رشد على تلخيص كتاب المقولات، حيث بدأ فيه الحديث عن الألفاظ والمعاني، لأنها تمثل الوحدة الأساسية لتكوين وانطلاق **المقول الخطابي**، ذلك أن ازدواجية معاني الحدود والألفاظ والتمويه فيها، وأحيانا عدَم إدراك معانيها ودلالاتها، كانت هذه الحدود أهم مواضع الغلط والمغالطة السائدة داخل الخطاب السفسطائي، وهو الموضع الذي وقع في فخه أفلاطون، حيث وقع في فخ معاني المترادفاتSynonymes = والجناسHomonymes =، والملفت للنظر في جميع المقالات المنطقية لابن رشد وعلى اختلاف موضوعاتها (موضوع كتاب المقولات، العبارة، القياس ،و البرهان ..) أنها تسودها روح واحدة ويربط بينها موقف واحد هو نقد ابن رشد للتراث المنطقي بعد أرسطو سواء في ذلك تراث الشراح القدماء والمحدثين أو تراث فلاسفة الإسلام وخاصة الفارابي وابن سينا، وتأكيده في آن واحد على انحراف الجميع على تعاليم المعلّم الأول، وكأن تاريخ المنطق هو تزييف لمذهب الحكيم، وهكذا نجد أن الأسماء التي يحاورها النص الرشدي هي من **أوديموس** و**تاوفرسطس** و**الأسكندر** و**تامسطيوس** و**أبو نصر وابن سينا** ..، إن ابن رشد مثْل أرسطو، رأى أن **اللفظ** يمثل بنية **أكسيومية** أساسية، في تحديد **صيغة** المقول من جهة وتحديد **دلالته** من جهة أخرى، فالصيغة هنا تدل على عدد الحدود وتشكيلاتها من حدود مفردة بسيطة وحدود كثيرة مُرَكَّبة، أما من جهة الدلالة، فقد كان تقسيمه لها من الناحية

البنيوية العامة مماثلا لتقسيم أرسطو "مع اختلاف في بعض المضامين، وذلك حسب معطيات اللسان العربي وخصائص اللسان اليوناني وذلك لما لاحظه من وجود علاقة تربط ألفاظ كل لغة بمعانيها، ومن اختلاف في تركيب الجملة في كل من اللغتين[1] "إن **علاقة** الألفاظ = أي الحدود بالمعاني، تُشكل أهمية مقولاتية أخرى، لذلك سلك فيلسوف قرطبة المسلك الأرسطي نفسه فقسّم الحدود إلى: حدود: "**مشتركة** " وحدود " **متواطئة** " وحدود " **مشتقة** -*"، هذا المسلك الذي اتبعه ابن رشد في كيفية حصر أنواع الحدود وتعدد نسبتها وعلاقتها بالمعاني، هو المسلك الذي يُشكّل في جملته مباحث ومحتويات **الجزء الأول** من تلخيصه لكتاب المقولات، ثم ذهب ابن رشد إلى نسج آخر، يمثل **الجزء الثاني** في تركيبة كتاب المقولات، فقدّم من خلاله دراسة تفصيلية لكل المقولات، إذ نجده يَعْرضها واحدة بواحدة و"عالجها مثل أرسطو **مواضيع ما ورائية** ذات علاقة بالجنس والنوع، لا مفاهيم منطقية ذات علاقة بالقياس وأَشْكاله وقوانينه[2]، فآليات المنطق ومنها المقولات، تَستعمِل مُسلّمات ومبادئ العقل كالهوية والسببية والثالث المرفوع وعدم التناقض لتأكيد سند البرهنة ونفسه الأمر في تقسيم الموجودات إلى أعراض وجواهر منها الأجناس والأنواع، وهي في واقع الأمر مستمدة من أصول ميتافيزيقية ما ورائية، وفي هذا السياق، يرى الأستاذ محمد ثابت الفندي "إن مجرَّد الحديث عن اختيار مُسَلّمات مُعَيّنة لتأسيس نظرية منطقية دون مسلمات أخرى هو تعبير عن موقف ميتافيزيقي[3]. "

[1] أوليري دي لاسي ، الفكر العربي و مركزه في التاريخ ، تعر: إسماعيل البيطار ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1، 1972 ، ص184.

[2] ابن رشد، مقالات في المنطق والعلم الطبيعي، جمال الدين العلوي، ص 64.

[3] محمد ثابت الفندي، أصول المنطق الرياضي،ص69.

تعود عملية عرض المقولات عند ابن رشد، في الأصل إلى الحدود المفردة البسيطة، **فالحد البسيط هو مكوِّنٌ أساسيٌ** لمادة المقول سواء كان هذا المقول موضوعا أيْ جوهرا أو كان محمولا أيْ عرَضا، كما عمَد ابن رشد إلى تقديم المقولات بطريقة فيها تقليد وإخلاص شديدين إلى تعاليم أرسطو مستوحاة من المفاهيم العامة من شروحه **لكتاب ما وراء الطبيعة** الأرسطي، خاصة عند حديثه عن الجوهر وفصوله كالجوهر الأول والجواهر الثواني وفصول العرَض[1].

أخرج ابن رشد كتاب المقولات في **جزئه الثالث** والأخير في عنوان سمّاه لواحق المقولاتpostprédicaments وفيه إضافة لما يَلْحق المقولات أو هي بمثابة المقولات كما يقول ابن رشد، مثل "المتقابلات " و" المتضادات" و"المتقدم والمتأخر" و"معًا" و"الحركة" و" له" وتجدر الإشارة إلى أن كتاب المقولات عند ابن رشد يدخل أيضا في النسيج العام للكتب المنطقية والتي تتلاحم جميعا فيما بينها لتصنع هذا **النسق التقعيدي** الخاص بفنون الاستدلال وفنون الخطاب، وما يلاحظ كذلك على كتاب ابن رشد في " **تلخيص** " Paraphrase= **كتاب المقولات**، هو أن كلمة تلخيص لها دلالتها الخاصة في المصطلحات العامة في فلسفة ابن رشد، وفي هذا السياق الخاص بكتب ابن رشد، يلاحظ المحقق اللبناني **الأب موريس بويج** Maurice Bouygesاستعمال ابن رشد كلمة **تلخيص** للدلالة على معنى "مختصرRésumé = " ويستعملها أيضا للدلالة على معنى "شرحexplication = "، وهو عمل مشهور عند العرب.

[1] أرسطو في الفلسفة العربية- الإسلامية، كتاب جماعي بإشراف الزواوي بغورة ، مطبوعات جامعة منتوري ، قسنطينة ، و دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، ج2(فلاسفة المشرق) ، ط1، 2001 ، ص 59

يضاف إلى ما سبق من ملاحظات على هذه التعابير المستخدمة في نسْج الكتب وعناوينها، إشارة الأب **بويج** Bouygesإلى أن هذه الاستعمالات واردة كذلك عند ابن رشد في ثنايا كتابه "**تهافت التهافت**" ، هذا وتشير دراسات تاريخية أخرى، إلى أن ابن رشد قد انتهى من تأليف كتاب **تلخيص المقولات** قبل شهر ابريل 1168م **وهي** نفسها الرواية التي يذكرها **رينان** Renan، وإنْ كان هذا التاريخ هو كذلك محل اختلاف[1].

في الأخير نختم القول بأن المؤلفات الرشدية متلاحمة فيما بينها، سواء في جهة أهدافها أو بنياتها المفاهيمية، **مما** يعني وجود ترابط فكري ومفاهيمي شامل ومشترك بين هذه المؤلَّفات، على غرار ما نجده في مشاريع أرسطو، من تلاحم بين الكتب الفلسفية والمنطقية -*-، ونختم أيضا بالقول أن مبحث الكُليات والمقولات كان محل بحث منطقي خصب في مجال المنطق العربي، نظرا لما لهذا المبحث من أهمية في مجال الأنساق المنطقية سواء كانت استدلالية أو خطابية.

[1] المرجع نفسه، ص 65.

المحاضرة الثانية عشر: عناصر الذهن البشري عند جون لوك

ولد جون لوك (1632- 1704) قرب بروستل من انجلترا زمن الثورة الدامية وفي نفس السنة التي ولد فيها فيلسوف أمستردام سبينوزا ودرس في أكسفورد التي كان يسيطر عليها الأرسطيون بينما كانت كامبردج تحت هيمنة الأفلاطونيين .علاوة على ذلك عايش لوك الحرب الأهلية الإنجليزية التي دارت رحاها بين الأرستقراطية المَلَكية والبرجوازية البرلمانية وساهمت في تغيير المشهد وميلاد فكر جديد.

لقد حاول منذ البداية نشر أفكار المدنية والسلم والتسامح والتسوية والتضحية في سبيل الصالح العام وساند نظرية العقد الاجتماعي وسيادة الشعب والحكومة النيابية وتقلد العديد من المناصب بعد وصول مقربين منه إلى الحكم وحصل على ثروة كبيرة من تجارة العبيد وهي من الرذائل التي ارتكبها منظر الحقوق والحريات التي وضع هذه مبادئها في جملة من المؤلفات غلى غرار "رسالة في التسامح" و"رسالة في الحكم المدني". لقد تقابل مع مالبرنش وبل وسبينوزا ولايبنتز ولكنه تأثر بفرنسيس بيكون وطوماس هوبز ورونيه ديكارت. لقد ساعده السيد شافتسبري على الالتحاق بالتدريس في جامعة أوكسفورد بالرغم تيار السياسة قد قام بجرفه بعيدا عن مقاعد البحث الجامعي.

لقد تجلت فلسفة لوك التجريبية الحسية بعد بلوغه سن السادسة والخمسين حينما كتب "رسالة في الذهن البشري" وبيّن فيه رفضه التام نظرية الأفكار الفطرية التي تعتقد في امتلاك العقل البشري لمجموعة من الأفكار الفطرية يرثها منذ الولادة ولا يكتسبها عن التجارب التي يمر بها في الحياة ولا يتعلمها في البحث والجدل، وفي مقابل ذلك أقر بأن

العقل يولد صفحة بيضاء ويشبهه باللوح النظيف الخالي من كل شيء وصرح في هذا السياق بأنه "ليس ثمة شيء موجود في العقل إلا كان موجودا أولا في الحواس[1]."

لقد جمع لوك بين المحافظة على الإيمان ضد السلطة الكنسية التي تعصف بالدين واعتمد العقل حكما في شؤون الدنيا وفي تنظيم المعطيات الوافدة من الخبرة الحسية التي جعلها عمادا رئيسيا لفلسفته التجريبية. بناء على ذلك رسم لوك لسلطة العقل حدودا مزدوجة: الأولى من جهة التجربة والثانية من جهة الإيمان.

إذ يصرح في هذا الإطار: "ليست الأفكار الفطرية مطبوعة على العقل بطبيعتها، لأنها ليست معرفة بالنسبة إلى الأطفال والسذج وغيرهم"[2]. لقد وضع لوك الخبرة التجريبية باعتبارها المصدر الأساسي للمعرفة والضابط الأول للعقل والمعيار الفلسفي للتثبت من حقيقة الروح والعالم والله ولقد ترتب عن ذلك دخول لوك في نقاش حول قضايا الجوهر والسببية والأخلاق والسياسة وبحث في إطار نظرية المعرفة عن علاقة النفس بالجسم وتناول عناصر الفهم الإنساني بشكل مباشر وركز على ما يوجد في الذهن من إحساسات وتصورات وادراكات ومقولات وأفكار وتساءل عن كيفية حدوث المعرفة فيه دون الالتفات إلى الطبيعة الفزيولوجية لعضوية للذهن من جهة تكوينها الداخلي.لقد أرجع لوك الأفكار في منطلقها إلى الحواس باعتبارها المصدر الأول لتلقي الانطباعات والإدراكات[3].

لقد كشف لوك في "رسالة في العقل" عن عجز الذهن البشري عن التعرف على حقيقة العالم المادي بشكل كلي وعن معالجة الأمور التي تتجاوز قدراته وحدوده وبالتالي

[1] صابر الحباشة، تحليل المعنى مقاربات في علم الدلالة، دار الحامد، عمان، ط1، 2011، ص49.

[2] جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، اليونيسكو، بيروت، 1959، ص87

[3] خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة مع نصوص وتطبيقات، ص 77.

أنكر بشكل تام وجود أفكار فطرية قبل التجربة وطرح السؤال التالي :متى يبدأ المرء في التفكير؟ وكانت الإجابة المفضلة لديه: يبدأ المرء في التفكير عندما يبدأ في الإحساس. ولا يمكن بالتالي اعتبار لوك دون النظر إليه على أنه العدو الأول لنظرية الأفكار الفطرية والأب المؤسس للتجريبية ولا يمكن فهم نظريته السياسية دون التطرق إلى نظريته حول نسبية المعرفة ودليله هو عدم وجود أي تمثل للواقع يكون مطلقا بالنظر إلى أن الكلمات لا تشير إلا إلى أفكار وليس إلى أشياء[1].

جملة القول أن المعرفة الواضحة هي المعرفة المرتبطة بقدرات الفهم الإنساني المرتبطة بالإدراك الحسى، أما المعرفة الميتافيزيقية فهي في نظره غامضة ومشوشة دائماً لأنها لا تعتمد على أي مصدر تجريبى. في هذا الصدد يعلن لوك ما يلي: "في البدء كانت التجربة" وبذلك استنتج أن التفكير لا يتم إلا بعد تفعيل الأحاسيس وإجراء التجارب. غير أن التجربة عند النزعة التجريبية لا تفيد دخول مخابر البحث experiment عند الألمان وإنما المعيش اليومي للكائنات الحسية التي هي نحن.Erfahrung

كما يضيف في الاتجاه نفسه: "لا يوجد أمر في الذهن لم يكن موجودا في البداية في الحواس[2]."

لقد ترتب عن ترابط الأفكار بالإحساسات القول بأن فكرة اللانهائي لا تطابق أي شيء ماديا، كما أن التجربة ليست فحسب مصدرا موضوعيا للمعارف التي تتعلق بظواهر الطبيعة وحقائق العالم بل تصلح أيضا بوصفها المعيار الذي يعتمد عليه الفكر الفلسفي للتمييز بين الأفكار الحقيقية والأفكار الزائفة.

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص37.

[2] محمدعلي الخولي، علم الدلالة (علم المعنى)، ص 82/80.

لقد طرح أحدهم على الجماعة العلمية المشكل التالي: لو عالج أحد الذين لا يبصرون منذ الولادة مرضه بإجراء عملية جراحية وأمكن له للمرة الأولى رؤية جسم مثلث الأضلاع وجسم دائري كان يميز بينهما بواسطة اللمس، فهل يمكن لهذا الشخص أن يميز بين الجسمين بواسطة النظر فحسب؟ ألا يطرح هذا المشكل مسألة الحس المشترك الذي يعود إلى أرسطو؟ هل الحواس مرتبطة ببعضها البعض أم منفصلة؟

إذا كان العقلانيون يرون بإمكانية الاسترسال بين الحواس فإن التجريبيين يرفضون ذلك ويرون بأن حاسة اللمس منقطعة عن حاسة النظر وبالتالي يجب للشخص المذكور أن يتعود التمييز بين الأجسام بالنظر بالرغم من خبرته في التمييز بينها بواسطة اللمس ولكن هذه الخبرة لا تفيده في شيء عند التمييز بالنظر.

غير أن حالة أخرى قد ظهرت سنة 1730 وتمكنت من التمييز بين الجسمين عن طريق اللمس وليس من خلال النظر، ولقد ترتب عن ذلك القول بأن التجربة لا تكون حاسمة سوى بصورة نادرة وأن الفلاسفة يتشبثون دائما بوجاهة نظرياتهم وأنه يعسر عليهم الاحتكام إلى معيار التجربة والتثبت من صدق أفكارهم[1].

كما يوجه لوك ضد النظرية الفطرية التي يدافع عليها العقلانيون الاعتراض التالي: لو كانت الأفكار فطرية فإنها يجب أن تكون كونية وحاضرة عند كل البشر بشكل دائم وفي كل زمان ومكان كما يرى العقلانيون. عند لوك الأفكار تختلف وتتنوع الأفكار حسب اختلاف وتنوع الأفراد وتعدد الأماكن والأزمنة وتتنوع عند الفرد نفسه على مجرى حياته ذاتها وعند تغيير أماكن تواجده ومعايشته لوضعيات زمنية متعددة.

[1] المرجع نفسه، ص81.

لقد عثر التجريبيون على الحجج الملائمة والمناسبة لأطروحاتهم من جهة التاريخ والجغرافيا في حين أن التقليد الفلسفي عند العقلانيين وعند المثاليين ترك هذه الحجج جانبا واهتم بالحجج والبراهين المنطقية[1].

لقد ترتب عن ذلك التمييز الشهير الذي أجراه لوك بين الأفكار البسيطة والأفكار المركبة. ولقد أكد على أن الأفكار البسيطة هي تمثلات فردية لا تقبل القسمة وتتكون من ذرّات من التمثلات وتنقسم إلى أنواع ثلاث[2]:

- الأفكار البسيطة التي تنتج عن الإحساس مثل الحار والبارد والمالح والحلو والامتداد والشكل والحركة التي تأتي مباشرة من تجربتنا الحسية.
- الأفكار البسيطة التي تنتج عن التفكير وتأتي من الملكات الباطنية على غرار الذاكرة والانتباه واليقظة والإرادة.
- الأفكار البسيطة التي تنتج في ذات الوقت عن الإحساس وعن التفكير مثل أفكار الوجود والديمومة والعدد وهي مطلوبة من طرف التجربة الحسية للأشياء الخارجية وأيضا من أجل تشغيل الملكات الباطنية.

ربما وجود الأفكار التي تنبع من التفكير قد تجنب النزعة التجريبية عند لوك من النقد الذي وجه لها بعنوان اختزال الوجود الإنساني إلى مجرد غرفة تسجيل للمعلومات وسند انفعالي تأثري للمعطيات.

أما الأفكار المركبة التي تتكون تجميع وترابط للأفكار البسيطة ولقد ميز لوك بين عدة أنواع من الأفكار التركيبية يمكن ذكر أهمها:

---

[1] جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري، اللجنة الدولية لترجمة الروائع، اليونيسكو، بيروت، 1959، ص87

[2] المرجع نفسه، ص55/54.

- أفكار حول الجواهر وهي وقائع يمكنها أن تستمر بذاتها.
- أفكار حول الأحوال Modes وهي وقائع لا يمكنها أن تستمر بذاتها بل تحتاج دائما إلى غيرها.

هكذا يقع لوك في تثبيت الصلة الدائرية بين الكلمات والأفكار بحيث لا وجود لأفكار بلا كلمات ولا وجود لكلمات بلا أفكار. وهذا هو المعنى المزدوج للّوغوس عند الإغريق الذي يعني الكلام والفكر في آن واحد.

بيد أن التجريبيين يعطون أهمية كبيرة للكلام بوصفه الشرط المتعين والفعلي لتحصيل المعرفة والفكر. اللافت للنظر أن الطفل قد ظهر في النهاية في على المشهد الفلسفي مع جان لوك ويعود ذلك إلى الأهمية الكبيرة التي يمنحها التجريبيون إلى التربية بالنظر إلى أن العقل لدى الطفل صفحة بيضاء ويعتمد على التجربة في إدراكه للعالم وبما أن كل الأفكار مكتسبة. لهذا الاعتبار يميز لوك بين التعليم l'instruction الذي يتعلق باكتساب المعارف الموضوعية والتربية الحقيقية التي تراهن على تنمية شخصية الطفل.

المحاضرة الثالثة عشر: النص والمعنى 1

1/ النص وتعريفاته

يعتبر النص نقطة تلاقي العديد من المجالات المعرفية، بل لا يكاد يخلو مجال من وجود النص. إلا أن وجهة النظر، وطريقة الاشتغال، وأشكال المقاربة، تختلف من مجال إلى آخر، ومن شخص لآخر، ومن نص لآخر. ولعل ذلك راجع لما عرفه ويعرفه مصطلح النص من تعدد دلالي، تطور عبر التاريخ. وقبل أن أبحث في الدلالة الاصطلاحية للنص، لا بد أن أتطرق للدلالة اللغوية التي قد تمدنا ببعض التوضيحات المضيئة لدلالة النص الاصطلاحية، رغم أنه يجب ألا نعول كل التعويل على هذه الدلالة في شرح المصطلح، بل يجب بناء "مفهوم النص من جملة المقاربات النقدية التي قدمت له في البحوث البنيوية والسيميولوجية الحديثة[1].

1-التعريف اللغوي للنص:

أ -في اللغة العربية:

إنّ المتتبع لكلمة "النص" في المعاجم العربية يلاحظ كثرة الدلالات التي ترتبط بها، فقد جاء في مقاييس اللغة" :النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء... ونصصت الرجل: استقصيت مسألته عن الشيء حتى تستخرج ما عنده. وهو القياس، لأنك تبتغي بلوغ النهاية[2] .ويقول ابن منظور: "النص: رفْعُك الشَّيْءَ. نَصَّ الْحَدِيثَ يَنُصُّه نَصًّا: رفَعَه. وَكُلُّ مَا أُظْهِرَ، فَقَدْ نُصَّ.....وأَصل النَّصّ أَقصى الشَّيْءِ

[1] الأزهر الزناد، نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصّا، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1993، ص 20.

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (ن ص ص)، ج5، ص357.

وغايتُه[1] .وفي تاج العروس "أَصْلُ النَّصِّ: رَفْعُك لِلشَّيْءِ وإظهاره فهو من الرفع والظهور ومنه المنصة.... نَصَّ الشَّيْءَ (يَنُصُّهُ) نَصّاً: حَرَّكَهُ ."[2] يقول أيضا "النَّصُّ: الإِسْنَادُ إِلى الرَّئِيسِ الأَكبَر. والنَّصُّ :التَّوقِيفُ. والنَّصُّ: التَّعْيِينُ على شَيْءٍ مَا، وكُلُّ ذلِكَ مَجَازٌ، من النَّصِّ بمَعْنَى الرَّفْعِ والظُّهُورِ"[3].

وهكذا يظهر أن النص له دلالات كثيرة في اللغة العربية، كالغاية والمنتهى، والتحريك. والتعيين والتوقيف. إلا أن هذه المعاني المختلفة ما هي إلا مجازات، فالمعنى الأصلي هو الرفع الظهور.

ب –في اللغات الأوروبية:

نجد في اللغات الأوروبية كالفرنسية أن مصطلح Texteيرتبط بالنسيج أو الأسياخ المظفرة[4] ويعود المصطلح إلى ما تعنيه كلمة النسيج " في المجال المادي الصناعي، وقد نتج عنها اشتقاقات لا تخرج عن هذا المعنى الأصلي، ثم نقل هذا المعنى إلى نسيج النص، ثم اعتُبر النص نسجًا من الكلمات ."[5]وترتبط كلمة النسيج بعدة دلالات قريبة من معنى النص اصطلاحاً ومنها: " دقة التنظيم، وبراعة الصنع، والجهد، والقصد، والكمال والاستواء ."[6]وهكذا فالنص في اللغات الأجنبية مشتق من الاستخدام الاستعاري في اللاتينية لمعاني الحياكة والنسيج.

[1] ابن منظور، لسان العرب، (ن ص ص).ج7، ص 98 وما بعدها
[2] مرتضى الزبيدي، تاج العروس، مادة (ن ص ص)، ج18، ص179.
[3] المرجع نفسه، ص180.
[4] فولفجانج هنيه من، مدخل إلى علم اللغة النصي، ترجمة فالح العجمي، جامعة الملك سعود، 1999، ط1، ص4.
[5] المرجع نفسه، 16.
[6] نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص دراسة في عوم القرآن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص14.

إن هذه الدلالة اللغوية للنص في اللغات الأجنبية أكثر ارتباطا بحقيقة النص الاصطلاحية، على عكس الدلالة في اللغة العربية، والتي تظهر بعيدة عن معنى النص كما هو معروف. رغم أنه يمكن تلمس طريق للربط بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية، وكيف انتقل المفهوم إلى دلالته الحالية.

2- / التعريف الاصطلاحي للنص:

تتعدد تعريفات النص حسب التوجهات المعرفية والنظرية للباحثين واختلاف مقارباتهم، بل قد تتعدد تعريفات الباحث الواحد حسب توجهاته النقدية المختلفة، فرولان بارت Roland Barthes مثلاً "تعددت تعريفاته للنص الأدبي بتعدد المراحل النقدية التي مرّ بها، منذ المرحلة الاجتماعية، وحتى المرحلة الحرة، مروراً بالبنيوية، والسيميائية[1] .وهذا التنوع في تعريف النص "يدل على عدم استقرار المفهوم من جهة وتباين طرقه الإجرائية في حقول معرفية مختلفة من جهة أخرى[2]"، بل "إن مسألة وجود تعريف جامع مانع للنص مسألة غير منطقية من جهة التصور اللغوي. ويؤكد ذلك الاختلاف بين علماء اللغة الذين ينتمون إلى مدارس لغوية مختلفة، حول حدود المصطلحات التي ترتكز عليها بحوثهم.[3]"

وسأحاول بإيجاز تسليط الضوء على مفهوم النص اصطلاحا عند العرب، وعند الغربيين:

أ –عند العرب:

يختلف معنى النص اصطلاحا حسب المجال المعرفي الذي تتم فيه الدراسة، ففي اصطلاح الأصوليين يدل النص على "مَا لَا يحْتَمل إِلَّا معنى وَاحِدًا أَو ما لَا يحْتَمل

---

[2] المرجع نفسه، ص35.

[3] سعيد بحيري، علم لغة النص، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1997، ص107.

التَّأْوِيل .[1]"أما عند أهل الحديث فقد جاء بمعنى الإسناد، والتعيين، والتحديد، فيقولون نص عليه في كذا. ونجده عند الفقهاء بمعنى الدليل الشرعي كالقرآن، والسنة، ومنه قولهم: "لا اجتهاد مع النص."

إن الذي يهم هنا هو النص في اصطلاح النقاد. وفي هذا الصدد نجد مجموعة من المساهمات العربية لعدد من الباحثين، ومنهم طه عبد الرحمان الذي يعرف النص بأنه "بناء يتركب من عدد من الجمل السليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات. وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين[2]"ويعرف سعيد يقطين النص بأنه:" بنية دلالية تنتجها ذات (فردية أو جماعية(، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة[3] .وقريبا من هذا نجد محمد عزام يقول عن النص الأدبي إنه "وحدات لغوية، ذات وظيفة تواصلية – دلالية، تحكمها مبادئ أدبية، وتنتجها ذات فردية أو جماعية .[4]"فالنص إذن بنية لسانية ذات دلالة، وذات بعد تواصلي، تحقق الأدبية من خلال مجموعة من المبادئ، كالانسجام والاتساق وتنتجه ذوات متعددة سواء قبل الكتابة أو أثناءها أو بعدها.

لقد ذكر أحمد اليبوري عدة مقولات تحيل على النص حسب النظرية السيميائية، فالنص ملفوظ، أي أنه يتعارض مع الخطاب رغم أن هناك من يجعلهما مترادفين. والنص" مجموعة السلسلة اللغوية اللامحدودة بسبب إنتاجية المنظومة[5]، كما أن النص بالمعنى الضيق

---

[1] المرجع نفه، ص 110.

[2] طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقفي العربي، الدار البيضاء، 200، ص32.

[3] سعيد يقطين، انفتاح النصّ الروائي النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، ط2، 2001، ص32.

[4] محمد عزام، النص الغائب تجليات التناص في الشعر العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص26

[5] أحمد اليبوري، دينامية النص الروائي، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط1، 1993، ص14.

قد يطبق على "عمل كاتب أو مجموعة من الوثائق المعروفة أو الشهادات التي تم جمعها، وفي هذه الحالة يكون النص مرادفا للمتن.[1]"

ويرى محمد مفتاح أن النص "وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة[2]"، ويعرفه أيضا من خلال بعض المقومات الأساسية، فالنص عنده مدونة كلامية، وحدث تواصلي، وتفاعلي، وله بداية ونهاية، أي أنه مغلق كتابيا، لكنه توالدي معنويا لأنه "متولد من أحداث تاريخية ونفسانية ولغوية...وتتناسل منه أحداث لغوية أخرى لاحقة له.[3]"

---

[1] المرجع السابق،

[2] محمد مفتاح، المرجع السابق، ص120.

[3] المرجع نفسه، ص 15.

المحاضرة الرابعة عشر: النصّ والمعنى 2

ب –عند الغربيين:

لقد بحث في النص، ودلالته مجموعة من النقاد والباحثين، من مختلفي المشارب، والاتجاهات النقدية المختلفة، ومنهم السوسيولوجيون، كالباحث الروسي لوتمان Lotman الذي يرى أن النص يعتمد على ثلاثة مكونات: – التعبير: أي الجانب اللغوي .والتحديد: أي أن للنص دلالة لا تقبل التجزئة. "فهو يحقق دلالة ثقافية محددة، وينقل دلالتها الكاملة.[1]" والخاصية البنيوية وتعني أن النص بنية منظمة وليس مجرد متوالية من العلامات، بل التنظيم الداخلي ضروي للنص وأساس في تكوينه.

ويرتبط النص عند العالم اللساني هلمسليف Louis Hjelmslevبالملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب، طويلا كان أو قصيرا " فعبارة stopأي قف هي في نظر هالمسليف نص .[2]"وعند تودوروف "النّص إنتاج لغوي منغلق على ذاته، ومستقل بدلالاته، وقد يكون جملة، أو كتاباً بأكمله[3] .وهذا الإنتاج اللغوي لا شك له وجهان، وجه اللفظ ووجه المعنى، ولا يمكن تعريف النص من خلال اللفظ فقط، بل هناك من أعطى الأولوية للمعنى على اللفظ، حيث يكون النص "وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص.[4]"

---

[1] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، 1992، ص216.

[2] المرجع نفسه.

[3] محمد خطابي ، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت/ الدار البيضاء، ط1، 1992، ص16.

[4] المرجع نفسه.

ويعتبر فان ديك Van Dijkمن الباحثين الذين اشتغلوا على النص كثيرا، وقد ذكر في كتابيه) :بعض مظاهر قواعد النصّ1972 (، و(النصّ والسياق1977 (، أن "النصّ نتاج لفعل ولعملية إنتاج من جهة، وأساس لأفعال، وعمليات تلق واستعمال داخل نظام التواصل والتفاعل، من جهة أخرى[1].

أما هاليداي M. Halliday ورقية حسن R.Hassanفقد أكدا في كتابهما) الاتساق في الإنكليزية 1976 (أن النصّ "وحدة لغوية في طور الاستعمال، وهو لا يتعلق بالجمل، وإنما يتحقق بواسطتها. وهما يركزان على الوحدة والانسجام في النصّ من خلال الإشارة إلى كونه وحدة دلالية[2]، ولا يهتمان بالطول حيث يقولان" النص يمكن أن يكون له أي طول.... وبعض النصوص تتشابه في الحقيقة من حيث إنها يمكن أن تكون أقل من جملة واحدة في التركيب النحوي مثل: التحذيرات، العناوين، الإعلانات، الإهداءات .[3]"وفي السياق نفسه يؤكد دريسلر Derssler أن" النص هو القول المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته[4]، فهو لا يعتمد على الطول في تحديد النص بل الاكتمال والاستقلال، وهذا يعني أن النص قد يكون كلمة، أو جملة، أو مجموعة من الجمل، لكن بشرط التعالق فيما بينها، فكل متتالية من الجمل تشكل نصا شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات، أو على الأصح أن تكون بين عناصر هذه الجمل علاقات[5]. ويرى روبرت دي بوجراند De Beaugrande Robert أن النص قد يتوسع، ليشمل أي علامة لغوية دالة، سواء مكتوبة

[1] رولان بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة بنعبد العالي، دار توبقال للنشر، 1993، ص85.

[2] المرجع نفسه.

[3] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فؤاد الزاهي، ، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، ص19.

[4] المرجع نفسه.

[5] صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، ع164، 1992،ص156.

أو منطوقة أو إشارة مرئية كلغة الإشارات. فالنص في نظره قد "يتألف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشروط (مثلا علامات الطرق والإعلان والبرقيات ونحوها.[1]"

و يعد الناقد الفرنسي رولان بارت من النقاد الذين ساهموا في تعريف النص مساهمة جليلة، حيث نشر بحثا بعنوان "من العمل إلى النص" ميز فيه بين العمل الأدبي والنص الأدبي [2]فالأول شيء محدد مادي يُحمل باليد، بينما الثاني تحمله اللغة، وله وجود منهجي فقط. والأول يرتبط بالأجناس والأنواع ويخضع للتصنيف، بينما الثاني يتجاوز ذلك كله، والأول أحادي، أما الثاني فتعددي(التناص)، والأول ملك لصاحبه والثاني ملك لقارئه، يقرؤه من جديد، لا كما أراد مؤلفه، بل" قراءة إنتاجية، تقرب القراءة من الكتابة، حيث يصبح القارئ كاتباً لنصّ جديد .[3]".ويعطي بارت للنص تعريفا لغويا حيث يرى أنه " نسيج من الكلمات، ومجموعة نغمية وجسم لغوي[4]، ثم يعرفه في إطار السيميائيات بأنه" نسيج من الدوال التي تكون العمل[5]" ، وقد شبه هذا النسيج بنسيج العنكبوت فهو محكم ومتماسك، ويرتبط بعضه ببعض، في إطار وحدة كلية.[6]

أما الناقدة جوليا كريستيفا Julia Kristeva فترى أن النص يتجاوز الخطاب أو القول، فهو في نظرها موضوع للعديد من الممارسات السيمولوجية، التي تشكل ظواهر عبر لغوية مكونة بواسطة اللغة. إن النص بهذا المعنى "جهاز عبر لغوي، يعيد توزيع نظام اللغة

[1] فان دايك، علم النصّ ، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص91.

[2] رولان بارت، المرجع السابق.

[3] رولان بارت، المرجع السابق.

[4] المرجع نفسه.

[5] المرجع نفسه

[6] المرجع نفسه

بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية، مشيرا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها. والنص نتيجة لذلك إنما هو عملية إنتاجية مما يعني أمرين:

- علاقته باللغة التي يتموقع فيها تصبح من قبيل إعادة التوزيع)عن طريق التفكيك وإعادة البناء(، مما يجعله صالحاً لأن يعالج بمقولات منطقية ورياضية أكثر من صلاحية المقولات اللغوية الصرفة له.
- يمثل النصّ عملية استبدال من نصوص أخرى، أي عملية (تناصّ)، ففي فضاء النصّ تتقاطع أقوال عديدة مأخوذة من نصوص أخرى، مما يجعل بعضها يقوم بتحييد بعضها الآخر ونقضه[1] .إن هذا التصور للنص جعل كريستيفا "تقترح رؤية نقدية جديدة، تؤكد انفتاحية النص الأدبي على عناصر لغوية، وغير لغوية (إشارات ورموز) متجاوزة بذلك التصور البنيوي.[2]".

وتجدر الإشارة إلى أن بعض الدارسين يرون أن مفهوم النص يتداخل مع مفهوم الخطاب، ومنهم فان دايك الذي يرى أن "النص والسياق يعتمد كلّ منهما على الآخر[3]، فالسياق يحيل على الخطاب وفي الاتجاه نفسه يربط بوجراند بين النص وعناصر خارجية تؤكد ارتباط النص بالخطاب، فيقول: "ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات، والتوقعات، والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمى سياق الموقف[4].

ويرى بول ريكور Paul Ricœur أن النص هو خطاب تمت كتابته، حيث يقول:" لنطلق كلمة نص على كل خطاب تم تثبيته بواسطة الكتابة، فالكتابة إذن تضمن استمرارية

---

[1] جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة فؤاد الزاهي، ، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 45.

[2] المرجع نفسه.

[3] فان دايك، علم النصّ ، ترجمة سعيد بحيري، دار القاهرة للكتاب، ط1، 2001، ص102.

[4] محمد خطابي ، لسانيات النصّ مدخل إلى انسجام الخطاب، ص211.

الكلام، وهي كما يعرفها دريدا" تثبيت الأصوات اللغوية بواسطة علامات خطية[1] .ويرى جوفري هرتمان G. Hartmanأن النص هو أي " قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام[2]" إن وجود الوظيفة وبالضبط الوظيفة الاتصالية التي يدل عليها الكلام يوحي بأن هارتمان يعطي للنص بعدا تداوليا، ومن ثمة فهو لا يختلف عن الخطاب.

ومقابل هذه الآراء نجد البعض الآخر يرى أن هناك اختلافا بين النص والخطاب، فالثاني يرتبط بالتلفظ والتداول، أي له وجود سياقي، بينما النص يتعلق بوجود لساني خارج السياق، أي له وجود نسقي إن صح التعبير، ومن هؤلاء ميشيل آدم الذي يرى أن الخطاب هو النص مع ظروف الإنتاج، والنص هو خطاب دون ظروف الإنتاج، وبعبارة أخرى" الخطاب يدمج السياق أي الظروف الخارج لسانية المنتجة له. في حين أن النص يبعدها بوصفه ترتيبا لقطع تعود إلى البعد اللساني[3]، فالنص بناء لغوي غير إنجازي عكس الخطاب. وفي هذا البحث تم تبني الرأي القائل بتطابق النص والخطاب، فكل نص هو خطاب في سياق تواصلي محدد، والخطاب لا يمكنه أن يكون إلا نصا في سياق ما.

[1] محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري: استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي، البيضاء/ بيروت، ط3، 1992، ص 120.

[2] روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والاجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص97

[3] المرجع نفسه.

فهرس المحتويات

الأهداف العامة: ..... ب
أهم مصادر المقياس: ..... ج
مقدّمة: ..... هـ
المحاضرة الأولى: مدخل لعلم الدلالة 7
المحاضرة الثانية: الدلالة وأنواعها عند القدامى والمحدثين: 14
المحاضرة الثالثة: أنواع الـدلالة 26
المحاضرة الرابعة: العلاقات الدلالية: 32
المحاضرة الخامسة: وظائف اللغة. 47
المحاضرة السادسة: الضمائر والدلالة. 65
المحاضرة السابعة: المعارف المعجمية في الذهن البشري 69
المحاضرة الثامنة: منطقة المعنى 79
المحاضرة التاسعة: المقولات 103
المحاضرة العاشرة: المقولات والكُلِّيات في المنطق العربي الإسلامي (مقاربة تاريخية)1 113
المحاضرة الحادية عشر: المقولات والكُلِّيات في المنطق العربي الإسلامي (مقاربة تاريخية)2 119
المحاضرة الثانية عشر: عناصر الذهن البشري عند جون لوك 125
المحاضرة الثالثة عشر: النص والمعنى 1 131
المحاضرة الرابعة عشر: النصّ والمعنى 2 136
فهرس المحتويات 141